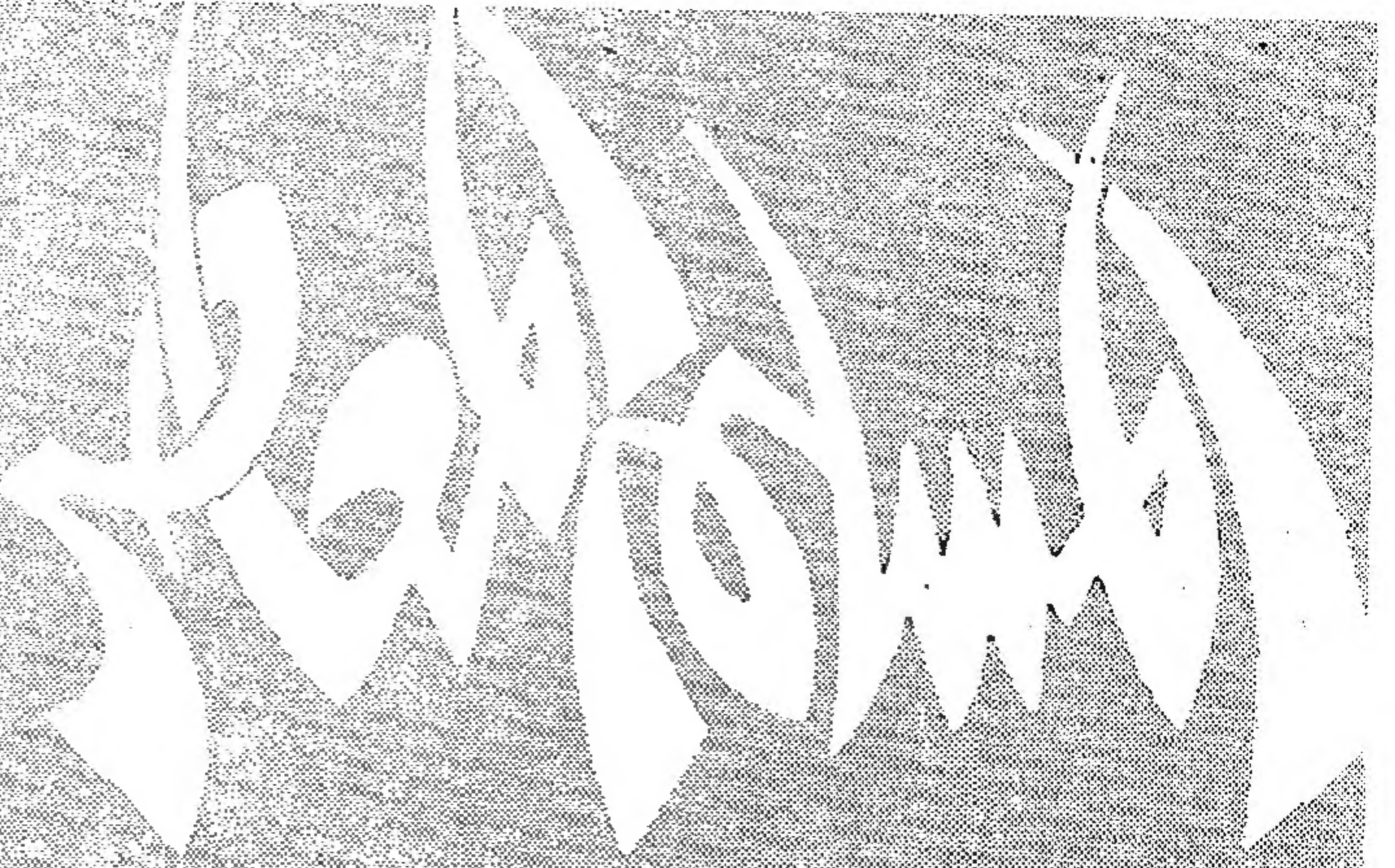


العدد السابع عشر. المحرم - صفر - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ

يناير - فبراير - مارس ١٩٧٩ م

مجلة





فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية

المحرر - صفر - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ
العدد السابع عشر: يناير - فبراير - مارس ١٩٧٩ م

صاحب الامتياز ورئيس التحرير المستقر:
الدكتور جمال الدين عطية

سعر النسخة: ٤٠٠ ق.ل.
الاشتراك السنوي في لبنان: ٥ ل.ل.

ص.ب: ١١٩٤٢٩ بيروت
سوقاً، ص.ب: ٢٨٥٧ الكويت

مكتوبات العدد

كلمة التحرير :

سنة الله د. جمال الدين عطية ٥

بحوث

الأسس الإسلامية للعلم م. م. صديقي ٩
حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية خالد م. اسحق ٣٣
صياغة إسلامية لدالة المصلحة الاجتماعية (٣)

نصوص مختارة تتعلق بموقف

الإسلام من الاستهلاك د. محمد أنس الزرقا ٤٩

موقف الفكر الإسلامي من ظاهرة تغير

قيمة النقود د. شوقي اسماعيل شحاته ٦٧

تقويم جهود ابن حزم ومنهجه في

مجال التشريع الإسلامي د. عبد الحليم عويس ٨٥

حوار :

وقت ضائع تحتاجه الحركة الإسلامية أبو اليزيد العجمي ٩٥
الانتماء السياسي للمسلم ...

عودة إلى الأصول د. محمد رضا محرم ١٠٧

رسائل :

أقوال الصحابة بين مصادر التشريع الإسلامي ١٤٥

خدمات مكتبية :

دليل القارئ إلى المجلات ١٥٣

وثائق :

من النظام الأساسي للمصرف الإسلامي الدولي ١٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة التحرير

سنة الله..

ارادت حكمة الله سبحانه وتعالى ان يحكم الكون نوعان من القوانين :
النوع الاول :

نوع حتمى وهو ما يشير إليه القرآن بالسنن ، ويطلق عليه البعض قوانين الطبيعة، وهو تلك القوانين التى فطر الله الخليقة عليها سواء فى ذلك قوانين العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والأحياء والطب ، أو القوانين الحتمية فى العلوم الاجتماعية مثل قوانين العرض والطلب فى الاقتصاد وقوانين التغيير الاجتماعى قال الله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » وفى الحديث « كما تكونوا يول عليكم » .. « يد الله مع الجماعة » .. « ماترك قوم الجهاد إلا ذلوا » . وقال الله تعالى : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .. « إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً » .

هذه القوانين حتمية بمعنى أنها تنطبق إذا توافرت شروط انطباقها دون حاجة إلى تدخل إرادى لأعمالها ..

وتسخير الكون للإنسان يتضمن أن يكتشف الإنسان هذه القوانين ويستخدمها لتحقيق الأمانة الموكولة إليه وهى عمارة هذا الكون كمخليفة لله سبحانه وتعالى .

وبقدر ما يكتشف الإنسان من هذه القوانين ويسخرها بقدر ما يصبح قوياً بقوة الطاقات الجبارة التي يحويها هذا الكون العظيم .

يستوى في هذه النتيجة أن يكون الإنسان مؤمناً أو كافراً ، فالإنسان إذا أهمل اكتشاف هذه القوانين واستخدامها يصبح ضعيفاً ولو كان مؤمناً ، والإنسان الذي يكتشف قوانين الكون ويسخرها يصبح بالتالى قوياً ولو كان كافراً ، لأن هذه القاعدة ذاتها سنة من سنن الله في هذا الكون .. وهى سابقة على وجود الإنسان نفسه ، مؤمنه وكافره .
قال الله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » .

النوع الثانى :

من القوانين التى تحكم الكون نوع إرادى أو تكليفى ، هو تلك القواعد التى رسمها الله ليهتدى بها الناس فى حياتهم وترك لهم أن يطيعوه باتباعها أو يعصوه بإهمالها ، وهذا التكليف مناطه الإرادة وحرية الاختيار اللذين وهبهما الله للإنسان مع العقل أسلحة يواجه بها معركة الحياة ..

هذه القوانين التكليفية تشمل إلى جانب القانون بمعناه الحديث قواعد السلوك والأخلاق الفردية والاجتماعية ، معناها الواسع

ولست هذه القوانين للابتلاء الإنسانى فيحسب ، ولكنها قبل ذلك وبعد ذلك : الإطار الذى يضبط مصلحة الفرد والمجتمع فى أنشطته المتعددة التى من بينها تسخير السنن الكونية وعمارة الكون .

وعلى قدر التزام الإنسان أفراداً وجماعات بهذا الإطار من القواعد السلوكية يكون ناجحاً فى حياته ، سواء كان منيع التزامه بها دينياً أو لما تحققه من مصالح .

وعلى قدر إهمال الإنسان لها يكون فشله واضطرابه ، سواء فى ذلك

من آمن بقلبه — دون أن يتبع الإيمان عمل صالح — أو من كان في ضلال مبين .

ولا مجال للغرابة إذن فيما انتهى إليه حال المسلمين مع غيرهم حين أهملوا سنن الكون ، أو شريعة الله كليهما ، فلم يأخذوا بأسباب القوة المادية والمعنوية وتركوا الجهاد وتفرقوا كأنهم أمم متعددة ، يحارب بعضهم بعضاً ، وراحوا ؟ بعد ذلك يأملون في النصر على أعدائهم الذين أحسنوا تسخير سنن الكون ، وأخذوا بقدر من الإطار السلوكي في حياتهم ، فكانت سنة الله لا تتخلف ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .. ولن تجد لسنة الله تحويلاً :

جمال الدين عطية

تنبيه

أخي القارئ

نسعد إذ نقدم لك فهرس مجلتك « المسلم المعاصر » في سنواتها الأربعة، مراعين في إعدادها النهج الموضوعي لما قدمته المجلة غير مغفلين العدد والصفحة وما إلى ذلك من معلومات تضع يدك على ما تريد من موضوعات .

(نسختك من الفهرس هدية مع العدد السابع عشر .)

الأسس الإسلامية للعلم (١)

م . م صديقي

١ - المقدمة

لقد ذكر كثيرون من الكتاب الغربيين في مجال الفلسفة العلمية أن الآراء الدينية بالنسبة للكون ، وأصله ومصيره ، وخاصة مصير الإنسان ، ومنزلة القيم في حياة الإنسان ، تتعارض مع الرؤية العلمية للكون . وتستمر المناقشة إلى مدى أبعد من ذلك ، لتصور أنه في حالة وجود صراع ما بين المسائل العلمية والنظرة الدينية ، فإنه لن يكون لدينا أى اختيار سوى طرح المسائل الدينية جانباً لأن الرؤية العلمية للكون تقوم على أساس قوى تستخلصه من الحقائق الناجمة عن الملاحظة والنظريات الممكنة لإثباتها ، في حين أن الأديان تقوم على أساس تلك المصادر المشكوك في أمرها مثل الوحي ، والكتابات المقدسة وشهادة المعلمين الدينيين .

إن الانتقاد السابق ذكره للدين ينطبق على جميع المعتقدات التي ابتدعها الإنسان سواء أكانت تسمى بالأديان ، أو القوى الخارقة أو أى نظام أو مذهب مميز . وهي تشمل مختلف أنواع الوثنية ، سواء أكانت من أصل يوناني ، أو روماني ، أو مصري ، أو إفريقي أو هندي ، وجميع الكتابات المقدسة التي

(*) أستاذ علم الإحصاء ، جامعة الولاية في كلورادو ، فورت كولنز ، كلورادو .

وضعها أناس مثل الهندوسيين والبوذيين ، وتشمل أيضاً الكتب المقدسة لليهود والمسيحية إلى حد كبير . إن جميع تلك المعتقدات تعد نتاجاً لحدس الإنسان وهي تحتوي على أقوال خاطئة فيما يتعلق بالكون ، وأصله ، ومصير الإنسان . وإنه لن يدهشنا أن يتم دحض ما هو نتاج الحدس الإنساني بواسطة الاكتشافات العلمية . وفي الحقيقة : إن الإسلام قد جاء لدحضه قبل وقت طويل من الاكتشافات ، ولن تحسر الإنسانية شيئاً إذا اكتسح تيار الاكتشافات العلمية جميع تلك الآثار البالية لأخطاء الإنسان الماضية .

وقد يصاب نقاد الدين العلميون بالدهشة إذا علموا أن الاسلام يقف إلى جانبهم في انتقادهم لرؤية التوراة أو اليهود أو المسيحية للكون ، أو الرؤية الهندوسية للكون ، ولا يقف في جانب الدين . ويدهشون كذلك إذا علموا أن الإسلام يعطى قيمة عظيمة للتوصل إلى الحقيقة ، وأن السعى وراء الحقيقة يعتبر واجباً على كل مسلم ، وأن الطريقة العلمية قد اكتشفت وطبقت لأول مرة بواسطة العلماء المسلمين ، وأن الاكتشافات العلمية تقوى إيمان المسلم بدلا من أن تنتقصه لأنها تزوده بيقين أعمق في قدرة الله الإبداعية .

وقد تم السعى حديثاً للحصول على تبرير للدين (وأيضاً العلوم والفلسفة والفن) على أساس واقعي . ومما يقال أن العلوم والفلسفة والدين والفن تعتبر جميعها ردود فعل الإنسان لمركزه في الكون . إن الإنسان من طبيعته مخلوق هادف ذو عزم ، وذو فضول عقلي وحاجات عاطفية وجسدية ، لذا فإنه يبتدع قima وأهدافاً لحياته ويسعى من أجل تحقيقها . وهكذا ، فإن العالم يضع معرفة الحقيقة في المرتبة الأولى ويسعى إليها بحماس ، ويكون لديه إيمان قوى بالطريقة العلمية في التوصل إلى الحقيقة . ويبحث الفيلسوف أيضاً عن الحقيقة النهائية ولكنه يعتمد في بحثه على أساليب عقلية ومنطقية ، ويعتبر الفنان أن الجمال هو أسمى القيم ، ويعتبر الشخص الورع أن التقوى هي أسمى القيم الإنسانية . وإن كل شخص يكون لديه افتراضات سابقة معينة يؤمن بها بطريقة قوية أو ضعيفة . فعلي سبيل المثال : يضع العالم افتراضه السابق بأنه

يمكنه معرفة الكون من خلال الطريقة العلمية ، وبضع الشخص الورع الافتراض السابق بأن الآلهة أو الله يكون راضياً عن أنشطته التعبدية . وفي حين أن التحليل الانتقادي لمعتقدات الإنسان يعد ضرورياً ، فإن جميع سعى الإنسان وراء القيم يتم تبريره على نفس الأساس .. أى أنها تشبع حاجات إنسانية معينة ومن ثم فإنه يوجد مكان للأديان ، والفنون والفلسفة في عصر العلم .

وقد يشعر المسيحي أو الهندوسي أو اليهودي أو البوذي بالحماية والسعادة لذلك التبرير الواقعي للدين ، أما بالنسبة للمسلم فالأمر يختلف . إن المسلم لا يستطيع أن يسلم بالمقدمة المنطقية الأساسية لتلك المناقشة التي تقول بأن دينه يعد مجرد سعى وراء هدف ، هدف قد ابتدعه ليتساوى مع العلوم والفلسفة والفن ؟

إن المسلم يدرك أنه يؤمن بالإسلام لأن الإسلام هو الحقيقة التي تنبع من الخالق ذاته ، الذي هو مصدر جميع الحقائق ، وليس كنتيجة لرد فعله العاطفي أو العقلي لوضعه في الكون أو كنتيجة لكون التقوى قيمة مستحبة . إن النظريات الاجتماعية التي تتحدث عن أصل الأديان .. مثل الخوف البدائي والرهبة من قوى الطبيعة الغامضة ، وتجسيد تلك القوى .. أو نظريات علم النفس المتعلقة بالدين .. مثل صورة الأب التي يتم تجسيدها في الله .. لا تنطبق على المسلمين . إن المسلم لا يبحث عن شيء مهدىء ليقابل من مخافة أو ليشرح الأشياء ، ولكنه يؤمن إيماناً قوياً بالحقيقة العظمى .. حقيقة الله والتوحيد به .. بل ويضحى أيضاً بحياته في سبيل تلك الحقيقة .

لقد انهارت الرؤية المسيحية للعالم — وهي تقوم على أساس الاعتقاد بأن شاغل الله الوحيد قد كان هو الثالوث المقدس والكرة الأرضية ، وخاصة الأنشطة الإنسانية وأن الله الأب قد أحب البشر إلى درجة كبيرة حتى أنه أرسل إليهم ابنه الوحيد — عندما اكتشف جاليليو لأول مرة الحقيقة التي كان يعرفها العالم الإسلامي لقرون عديدة .. وهي أن الأرض تعد مجرد كوكب صغير يدور حول الشمس ، وعندما كشفت الملاحظات الفلكية فيما بعد حقيقة أنه حتى النظام الشمسي ليس بأكبر من ذرة صغيرة في الكون

الإلهي الواسع الذي يحتوي على الملايين من المجرات والبلايين من النجوم ،
إن الإنسان ، بل في الحقيقة الأرض بأكملها ، لم تكن لها تلك الأهمية عند الله
وإن المسيحي الذي درس العلوم لا يجد أمامه سوى اختياريين :

- ١ - أن يرفض المسيحية ويحاول تكوين نظرة موحدة للكون بدون الدين
- ٢ - أن يصبح شخصاً ممزقاً ، يؤمن بمعتقداته سرّاً ، ولكنه يتصرف علانية وكأن تلك المعتقدات لا تتوافق مع الحياة الواقعية .

لقد اختار البعض الأسلوب الأول ، ووصل الأمر في النهاية إلى أن معظم
الناس في روسيا ودول أوروبا الشرقية رفضوا المسيحية كلية واستعاضوا عنها
بفلسفة إلحادية علمية زائفة قام هيجل وماركس بوضعها . وقد اختار آخرون
الأسلوب الثاني ، ويوجد الآن جزء كبير جداً من الغربيين الذين يعتقدون اتجاهاً
منفضماً نحو الحياة . وبتحليل ذلك التمزق الروحي للإنسان الغربي ، كتب
جولييان هكسلي قائلاً :

« إن مثلنا العليا الغربية تكون عرضة للهجوم لأنها غير موحدة بما يكفي
حتى يكون لديها أي قوة دافعة حقيقية وقوية (إن قوتها تكمن في حريتها
ومقاومتها للدكتاتورية البهيمية) . ولكن طالما يستمر انشقاقها إلى قسمين ..
بين الطبيعي والحارق ، بين الله والبشر ، بين المادة والروح .. سوف تظل
مدنيتنا الغربية تعاني من الفصام بكل ما تعنيه تلك الكلمة ، وسوف تفشل
مثلنا العليا في تزويد القوة الفعالة للقيام بعمل هادف حقيقي » .

(جولييان هكسلي : الدين بلا وحى ، هاربر وإخوانه ، نيويورك ،
١٩٥٧ ، ص ٨) .

إن حل هكسلي لهذه المشكلة هو إيجاد دين بدون إله ، وذلك ما يسميه
بالفلسفة الانسانية المتطورة .

إن ما حدث للمسيحية في روسيا ، قد حدث للبوذية في الصين ،
وللطاوية في اليابان . وبدون شك : إن الهندوسية في الهند ينتظرها نفس
المصير . فإن ظهور الحقيقة ليس من الممكن صده ، وإن الآلهة ، والأفكار ،
والمذاهب ، والأديان الزائفة من المحتم أن تتلاشى . ويكون السؤال هو :

هل ينتظر الاسلام نفس المصير ؟

عندما ننظر إلى طلبتنا في الخارج نجد أن معظمهم يتخلى عن الإسلام بسهولة ويجرف بواسطة المذاهب الأخرى أو على الأقل المتع التي تزخر بها البلدان الأوروبية . وإذا استمر ذلك الحال بالنسبة لشبابنا ، فإننا حينئذ نستطيع — حقيقة — أن نتوقع مصيراً مماثلاً للبلدان المسلمة . ولكن ذلك إذا حدث ، فإنه لن يكون بسبب وجود صراع أساسى بين الإسلام والعلم ، ولكن بسبب وقوع القيادة الفكرية للمائة عام الماضية فى أيدي الغربيين ، وأن المسلمين وغيرهم من الشعوب المتأخرة كانوا فقط يرددون صدى أفكار المفكرين والكتاب الغربيين . إن المفكرين المسلمين ، سواء أكانوا دارسين للعلوم الدينية أو العلوم الحديثة ، كانوا يفتقرون إلى النضج والشجاعة الفكرية التى تأتى بعد المعرفة العميقة ، والبحث الأساسى ، والتفكير المتعمق . إذن دعواى هى : إن علماء المسلمين ومفكرهم الذين يعرفون القرآن جيداً ، ولهم اطلاع فى مجال العلم هم — فقط — الذين يستطيعون فى نهاية الأمر أن يقدموا مثلاً علياً موحدة لا يستطيع أن يقدمها العلماء المسيحيون أو البوذيون أو الهندوسيون وإن النقطة هى : إن الإسلام فقط هو الذى يستطيع تبرير الافتراضات السابقة للعلم وأن يقدم أساساً صلباً للنشاط العلمى . وإن الإسلام أيضاً دين ، أى أنه مبدأ موحد يقدم للمسلم إرشاداً فى كل لحظة من حياته ، سواء أكان فى خلوة أو فى مجموعة ، فى مسجد أو فى سوق ، فى حجرة دراسة أو فى ميدان المعركة ، أو كان يقوم ببحث علمى أو أنه فقط يحفر خندقاً . إن مثل ذلك الدين الشامل هو الذى يقدر — وحده — على إنتاج الشخصيات المتكاملة والمجتمعات المتكاملة ، إن الإسلام — فقط — هو الذى يقدر على تنسيق جميع الأنشطة الإنسانية ، بما فى ذلك الأنشطة العلمية ، والفلسفية ، والفنية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والدينية . وفى الحقيقة ، فإن كل نشاط فى الإسلام يعتبر عبادة لله لو أنه كان يتم أداؤه لتحقيق الهدف الذى خلق الإنسان من أجله ، وهو أن يكون نائب الله على الأرض .

إن ما نفتقر إليه فى الوقت الحالى هو المناخ الملائم للبحث وحب المعرفة

الذى أدى فى الماضى إلى إنشاء الكثير من المؤسسات التعليمية فى البلدان المسلمة وإلى تكوين عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين كانوا فى نفس الوقت مجاهدين أشداء فى سبيل الإسلام . إنهم لم يشعروا أبداً أن أنشطتهم العلمية كانت منفصلة عن دينهم أو أنها كانت تتعارض مع المعتقدات والممارسات الإسلامية . ويجب أن يقوم شخص ما فى مكان ما بالبداية فى تكوين مثل ذلك المناخ ، على الأقل على المستوى المحلى ، وبمرور الوقت سوف يكون ممكناً للدارسين والعلماء المسلمين أن يظهروا للعالم أنه ليس من الممكن فقط ، بل أنه من المرغوب فيه للغاية أن يتم الاستغناء عن تلك الإزدواجيات للدين والدنيا ، والروح والمادة ، والخاصة والعامة ، والعيش فى حياة متوازنة ومتكاملة وخالية من الصراعات الفكرية ، والعاطفية والاجتماعية .

إن غرضى من كتابة هذه المقالة هو اتخاذ الخطوة الأولى فى ذلك الاتجاه . وبالنسبة لتلك الغاية ، أود أن أتوقف قليلاً وأحاول الإجابة على الأسئلة التالية :

- ١ — ما هو العلم ؟
- ٢ — هل يفرض العلم علينا رؤية معينة للكون ؟
- ٣ — ما هى الافتراضات السابقة للعلم وما هو تبريرها ؟
- ٤ — هل يستطيع العلم إثبات وجود الله ؟
- ٥ — ما هى الرؤية الإسلامية للكون ؟
- ٦ — كيف يبرر الإسلام ، ويقوى ويوسع الافتراضات السابقة للعلم ؟
- ٧ — ما هى التوجيهات الإسلامية لتطبيق العلوم والتكنولوجيا ؟
- ٨ — ماذا يجب أن تكون أهدافنا فى مجالات التعليم والصحة العامة والاقتصاد ؟
- ٩ — ما هى الخطوات العلمية التى نحتاج إليها لبدء المسيرة فى اتجاه تحقيق تلك الأهداف ؟

٢ — ما هو العلم ؟

منذ وقت طويل كان يتم مطابقة العلم مع الفيزياء ، وخاصة مع الميكانيكا ، كانت الطريقة العلمية تطابق الأساليب التجريبية التى تجرى فيها الملاحظة

تحت شروط منضبطة في المعمل . وقد أفسح ذلك مكاناً لفكرة أن العلم هو أسلوب دقيق وتجريبي يؤدي إلى اكتشاف « القوانين الطبيعية » ، وعندما تم اكتشاف فروع أخرى من المعرفة مثل علم طبقات الأرض ، وعلم النبات ، وعلم الأحياء ، وعلم الأجواء ، وعلم المحيطات ، وعلم الحياة ، وفيما بعد الاقتصاد ، وعلم النفس والطب ، وحتى علم الاجتماع والعلوم السياسية ، وانضواؤها جميعاً تحت تعريف العلم المتزايد في الاتساع ، لم يعد من الممكن النظر إليه كشيء دقيق ، ولم يعد من الممكن أيضاً اكتشاف « القوانين الطبيعية » في المجالات المختلفة . إن عالم الأحياء ، أو عالم الأجواء ، أو العالم الاقتصادي سوف يجد نفسه في مواجهة موقف يتضمن مئات الملايين من العوامل الغير منضبطة . وفي مثل تلك الظروف ، فإنه يكون من الممكن فقط الاستدلال على علاقات تجريبية أو إحصائية ، أما بالنسبة لبعض العلوم الأخرى ، فإنه يكون من الممكن تصنيفها على أساس الارتباطات أو مجرد الوصف . والآن ينشأ السؤال : ما هو الشيء المشترك بين العلوم المختلفة لإبتداء من علم الطبيعة إلى علم الاجتماع ؟ .. كيف نضع تعريفاً للعلم ؟

من الواضح أن كل فرع من العلوم يسعى وراء معرفة معينة ، ويتطلب من العلماء الذين لديهم الحافز الكافي أن يسعوا وراء تلك المعرفة ، وفوق ذلك فإن لكل فرع من المعرفة أسلوباً ومنهجاً لجمع وتحليل المعلومات . وأخيراً : إن الهدف النهائي لجميع العلوم هو التوصل إلى فهم أو إيجاد « تفسيرات » للأشياء ، والحوادث والعمليات الخاضعة للمراقبة .

وبأخذنا في الاعتبار جميع أوجه النشاط العلمي ، سوف أقدم الآن تعريفاً موجزاً للعلم ولكنه تعريف شامل تماماً :

إن العلم يعد نشاطاً إنسانياً هادفاً ، قوى الدوافع ، رفيع القيمة ، مُمَاز التنظيم ، يتميز بأسلوبه في البحث (الذي يعرف بأسماء كثيرة ، مثل « الطريقة العلمية » ، و « الطريقة التجريبية » ، و « طريقة الملاحظة والافتراضات الممكنة لإثباتها ») . وهدفه هو التوصل إلى معرفة الأشياء الغير مرئية (الأشياء

المماثلة ، والقوانين ، والعلاقات ، والأسباب ، والحقيقة) على أساس أسلوب الملاحظة (الأشياء ، والأحداث ، والعمليات) :

وإن الهدف النهائي للعلوم البحتة هو تجميع نتائج العلوم المختلفة (الفيزيائية والبيولوجية ، والاجتماعية) حتى يتم التوصل إلى تراكيب « الكون » .
وإن هدف العلوم التطبيقية هو تطبيق الدراية العلمية للتوصل إلى أهداف وأغراض أخرى (الازدهار الاقتصادي ، والتفوق العسكري ، واستئصال المرض ، وتوفير وسائل التسلية ، وتسهيلات السفر ... إلخ) :

إن الحافز للعلم ينبع من حب الاستطلاع الفطري للإنسان ، فالإنسان يخلق بعقل دائم التساؤل . ومن الممكن ملاحظة الرغبة في المعرفة ، والاستكشاف والتجربة في كل طفل . وتقل تلك الرغبة ، بل وتتلاشى تماماً بعد الحصول على مستوى معين من العلم بالنسبة لجميع الأفراد ، بما في ذلك أكثرهم ثقافة ، وتحل محل تلك الرغبة للحصول على قدر أكبر من المعرفة رغبات ومساع أخرى تحوز على الأولوية . ولكنه يوجد من يحتفظون بشعلة حب الاستطلاع والتساؤل مضيئة طوال حياتهم ، وتظل دعوتهم الثابتة هي « رب زدني علماً » ، وينتمي زهرة العلماء إلى تلك المجموعة الأخيرة :
فيصبح السعي وراء المعرفة هو هدف حياتهم ، ولا يفتر أبداً حافزهم للحصول على قدر أكبر من المعرفة بسبب إدراكهم لوجود الكثير من الجهل والأخطاء :

إن العلم يعد نشاطاً هادفاً ومقرراً بتأن بالنسبة للعالم . سواء كان عالماً بحثاً أو تطبيقياً . وهو يعتبره شيئاً سامياً ويعتبره الآخرون كذلك أيضاً . وقد يكون الهدف بالنسبة لبعض العلماء هو اكتشاف الحقيقة النهائية ، وقد يكون هو السيطرة على البيئة المادية بالنسبة لآخرين . وقد يكون أيضاً هو خدمة الإنسانية أو الدولة بالنسبة لآخرين غيرهم . إن الحصول على المعرفة يعتبر واحداً من أسمى القيم الإنسانية . وقد قال الله سبحانه وتعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وهكذا ، فإن المثقفين في كل مجتمع يكونون موضع الاحترام ، والتكريم ، بل والحب . وعلى عكس ذلك ،

فإن الأشخاص الذين ينهمكون في السعى وراء الثروة ، أو المتعة ، أو القوة قد يكونون موضع حسد ، أو خوف ، ولكنهم لا يكونون أبداً موضع احترام أو حب حقيقى .

إن العلم ، وخاصة العلم الحديث ، هو نشاط منظم للغاية ذو قوانين . لقد مضت الأيام التى قام (البيرونى) فيها بقياس محيط الأرض من فوق قمة تل منزو ، مستعملاً آلات من صنع اليد ، أو (جاليليو) عندما كان ينعم النظر من خلال تلسكوبه ، إننا نحتاج إلى معدات ضخمة وآلاف من الرجال ، ومعاونة الحكومة أو الأموال الخاصة لملاحظة الذرات الرئيسية التى تتكون منها المادة ، وإننا نحتاج إلى الجامعات ، والمكاتب ، والمعامل ، والمصانع التى تصنع الأدوات المعقدة ، والعقول الأليكترونية المتقدمة ، والسفن ، والغواصات ، والطائرات ، والأقمار الصناعية .. إلخ ، ولكننا قبل كل شىء فى حاجة إلى الأفراد ليقوموا بالعمل كيميائيين ، ومراقبين ، وجامعى بيانات ، ومحللين ، ومفكرين ، وواضعى نظريات ، ومن المطلوب أيضاً وجود تسهيلات لطبع ونشر النتائج فى شكل تقارير فنية ، ومقالات صحفية ، وكتب . وإننا أيضاً نحتاج إلى حكومة ، وإلى صناعة تعطى الأولوية للبحث الرئيسى والتطبيقات لدعم جميع تلك الأنشطة المعقدة والمتشعبة .

إن العلم يعد نشاطاً إنسانياً . وإننا نذكر تلك الحقيقة الواضحة لأن الانطباع العام السائد هو أن العلم « موضوعى » لأنه مستقل عن ذاتية الإنسان إن العلم هو تنظيم المعرفة الإنسانية ، وليس تنظيم العالم . ولتوضيح ذلك ، فلنفترض أن الحيتان ، أو التمل ، أو الفيروسات تستطيع أن تقوم بتنظيم ملاحظاتها . فهل تستطيع أن « تكتشف » الجاذبية الأرضية ، أو نظرية الجزيئات ، أو النظام الشمسى ؟ وإننا نلاحظ أنه إذا تم وضع الشخص الذى يتبع أسلوب الملاحظة ، داخل ذرة أو نجمة ، فإنه سوف يظل ذلك الشخص الذى يتبع أسلوب الملاحظة . إن مدى حياتنا ، وإحساسنا بالوقت ، والفضاء ، والحركة ، وحواسنا الخمس ، وملكاتنا العقلية ولغتنا قد كونت جميعها تركيب العلم .

وسوف أنتقل الآن إلى تحليل أسلوب البحث الذي يتميز به العلم ،
أي الطريقة العلمية .

إننا نعلم جميعاً أن وظيفة العلم هي اكتشاف الحقائق ، وإن الطريقة التي
تستعمل لتلك الغاية هي الملاحظة . والآن ، إن الإنسان الطبيعي لديه خمسة
حواس ، وهو يستقبل انطباعات حسية متواصلة طوال حياته ، وخاصة في
ساعات يقظته . وتكون تلك الانطباعات خاطفة وتحل محلها انطباعات
أخرى نتيجة تغير الأحوال . ومن الواضح أنه لو لم تكن للإنسان ذاكرة ،
لما كانت هناك أية قيمة دائمة لتلك الانطباعات ، ولكان ذهن الإنسان مثل
سطح الماء . ومع ذلك ، فإن عدد الانطباعات الحسية في لحظة معينة يكون
هائلاً للغاية حتى أنه ليس من الممكن تسجيله في ذاكرة الإنسان . ويفرض
عليه جهازه الحسي ، وجهازه العصبي وملكاته التمييزية ترشيح ، وتجميع ،
وترتيب الحسيلة الحسية حتى يبتدئ في « رؤية » الأشياء ، و« سماع »
الأصوات وهكذا — وفي الوقت ذاته — سوف يبتدئ أشخاص آخرون في
تلقينه « أسماء » الأشياء ، وإخباره بخصائص الأشياء التي لم تكن لديه تجارب
مباشرة بالنسبة لها . فهو يلقي أن السكين « حادة » ، وأن النار « تحرق » ،
وأن السماء « زرقاء » ... الخ . ولا توجد حتى الآن وسيلة لمقارنة الإدراك
الحسي لشخص « بالزرق » مع الإدراك الحسي لشخص آخر . ولكننا جميعاً
نجمع على تلك الأسماء .. وهكذا . فإن الإنسان يجد منفذاً إلى حاضر الأشخاص
الآخرين وتجاربهم الماضية ، هذا إلى جانب حاضره وتجاربه الماضية . وفي حين
أن تجاربه هو تكون مباشرة ، وتكون تجارب الآخرين هي أشياء سمعها ،
فإنه يقبل تلك الأشياء التي سمعها مستنداً إلى شهادة الآخرين . وإن الفارق
بين خطاب (*) في اسبراليا شديد الذكاء — ولكنه ليس من الممكن أبداً أن يصبح
عالمًا — وبين العالم الفيزيائي إدوارد تيلر ، يكمن في حقيقة أن إدوارد تيلر
كان لديه منفذ أكثر للمعرفة المتراكمة التي جمعها الآخرون أكثر مما كان
لدى الخطاب .

إن أهمية الأشياء التي تنقل بواسطة الآخرين والمصادر التي جاءت منها ،

(*) يعني الذي يجمع الخطب .

دائماً يتم تجاهلها أو عدم توكيدها من الكتاب الذين يكتبون عن الطريقة العلمية والذين يعربون عن ازدرائهم لما يسمى بالأسلوب « الفاشستي » للمعرفة ، ويتباهون باعتمادهم على الملاحظة المباشرة . إن جميع المعرفة العلمية . بل في الحقيقة جميع المعرفة الإنسانية ، تقوم على أساس الافتراض : أن تجارب الأشخاص الآخرين تماثل في طبيعتها وتركيبها مع تجاربنا ، وأنا لو كنا مكانهم لمررنا بنفس الأشياء كما نقلوها إلينا .. وإنه يجب بالطبع أن تؤكد صدق الأشخاص الآخرين الذين ينقلون إلينا المعلومات ، وأنهم جديرون بأن نعول على أقوالهم ، ولكن مقياسنا للحكم على صدق تلك المعلومات أو من ينقلونها وجعلها جديرة بأن نعول عليها يقوم على أساس لا يتصل بالطريقة العلمية . وعلى أية حال ، تبقى لنا حقيقة أن الطريقة العلمية تستخدم دائماً الأسلوب « الفاشستي » لجمع المعلومات . وتتمثل أعظم مصادرنا للبيانات العلمية في الكتب ، والمنشورات الدورية ، والتقديرات الفنية ، والمحاضرات ، والحلقات الدراسية . وذلك يؤكد نقطتنا السابقة وهي : أن العلم نشاط إنساني ، جماعي هادف ، وإنه ليس من الممكن لأي عالم أن يعزل نفسه عن الآخرين . إن الأسلوب العلمي يبتدئ بحقائق تم التوصل إليها عن طريق الملاحظة الشخصية أو الإبلاغ . ومع ذلك ، فإن مجرد وجود مجموعة من الحقائق التي تم التوصل إليها عن طريق الملاحظة الشخصية أو الإبلاغ لا تكون بمثابة علم . مثلاً ، فإن دليل التليفون لا يعتبر كتاباً علمياً . وإنه من الضروري إجراء بعض العمليات التمهيدية المعينة التي نستطيع أن نطلق عليها العمليات الوصفية لإيجاد بعض النظام في حالة من الأشياء المتشوشة ، وهي عمليات : التصنيف ، والتوحيد ، والترتيب ، والقياس .

التصنيف : هو عملية وضع الأشياء أو الأحداث في طبقات مميزة بمقتضى الخصائص المشتركة بينها . ونستطيع أن نذكر أمثلة لعملية التصنيف ، مثل الأسماء العامة مثل رجل ، طائر ، أبو الحناء ، والصفات مثل طويل ، أحمَر ، والإفكار مثل الأعداد الصحيحة والوظائف . وإنه ليس من الممكن تصنيف الأشياء فحسب ، ولكنه من الممكن تصنيف الطبقات ذاتها في طبقات أكبر .

وهكذا ، فإن أبا الحناء طائر ، وإن الطيور مخلوقات ، وإنه ليس من الممكن الاستغناء عن عملية التصنيف في أى استنتاج علمي ، سواء تمت عن وعي أو بدون وعي .

التوحيد : هو التقاء طبقتين أو أكثر في نقطة واحدة .. إنه محاولة لتقرير تكرار وقوع الشيء في طبقتين أو أكثر في نفس الوقت .. وهكذا ، فإننا نبحث تكرار ظهور معادن معينة أيضاً كموصلات للكهرباء ، أو ما هي نسبة الأشخاص الذين تم شفاؤهم من البرد عن طريق البنسلين .. ؟ .

الترتيب : إن عمليات الترتيب تصف العلاقات المتسلسلة للأشياء والأحداث وإن أمثلة ترتيب العلاقات هي « أعظم من » ، « قبل » ، « سبقه ذلك » . وإن أمثلة الطبقات المرتبة هي الأرقام ، والأحداث ، والوحدات الإدارية ، والأجيال ، والنقاط على الأسطر .

القياس : هو عملية وضع أرقام لتدل على الخصائص . وإن الطبقات المرتبة فقط هي التي تكون قابلة للقياس . إن القياس يتطلب وجود وحدة قياسية ، ومقارنة ذلك القياس مع الشيء المراد قياسه .

إن تلك العمليات الأربعة ينتج عنها العلوم الوصفية . ولكن الوصف ليس هو الشرح . إن كل علم ، بعد أن يصف الأشياء ، والأحداث ، والعمليات ، يطرح السؤال : لماذا كان الأمر كذلك ولم يكن شيئاً آخر ؟ .. وهكذا ، فإن الجغرافيا تصف موقع الجبال ، والأنهار ، والتكتلات الأرضية ، والمحيطات .. إلخ . ثم تحاول أن تجيب على الأسئلة : لماذا توجد الجبال هنا ؟ ما هو إجراء تكون النهر ؟ .. لماذا تقع القارات في تلك الأماكن بالذات ؟

إن للشرح وجهين : وجه منطقي ووجه سيكولوجي . وإن الوجه المنطقي هو المعنى المتضمن بين أسلوب الشرح والشيء المشروح . والوجه السيكولوجي هو مركب من مشاعر الثقة ، والألفة ، والمعرفة الحدسية ، والاتجاه العقلي تجاه الأقوال التي تبدو معنى ضمناً :

إن الافتراض السابق أنه لا يتم حدوث أي تغيير بدون علة هو أساس جميع محاولات التفسير .. وهكذا ، عندما نرى تفاحة تسقط ، أي تغير من وضعها في الفضاء وتحرك مقربة من الأرض تثير السؤال ، لماذا تسقط على الأرض ، لأن الأرض لديها « قوة » تؤثر عليها ، وتلك هي قوة الجاذبية الأرضية . ولكننا لم نلاحظ قوة الجاذبية الأرضية . إن العلم الوصفى المجرد سوف يكتفى بالقول أن تلك الأشياء كان من الملاحظ أنها تسقط نحو الأرض في حين أن الطيور كانت ترتفع من الأرض إلى أعلى . أما العلم التعليلي فإنه يبحث على اكتشاف قوانين نيوتن للحركة . ونستطيع أن نتقدم خطوة إلى الأمام ونطرح السؤال : لماذا تمتلك الأرض قوة الجاذبية تلك ؟ .. وما هي « القوة » بأية حال ؟ .. هل هي قابلة للملاحظة ؟ . إن الإجابة سوف تكون بالنفي ، ولكننا ندرك وجود تلك القوة من خلال التغير في قوة دفع الشيء المتحرك . هل يكون معدل التغير في القوة الدافعة قابلاً للملاحظة ؟ كلا .. حينئذ ، ما هي الأشياء القابلة للملاحظة ؟ .. حسناً ، إننا نلاحظ الشيء في مواقع مختلفة باختلاف الوقت . إن سرعة الشيء تكون مشتقة من المسافة المقطوعة بالنسبة للوقت ، وإن التعجيل هو اشتقاقها الآخر . ويمكننا قياس حجم الشيء المتحرك بعد أن يصبح الشيء في حالة ساكنة . كيف نستطيع قياس المسافات ؟ كيف نعرف أن المسافة بين النقطتين أ ، ب هنا هي نفس المسافة بين النقطتين ج ، د ؟ كيف نقيس الوقت ؟ ما هي فترات الوقت المتساوية ؟ هل يكون حجم الشيء المتحرك مماثلاً لحجمه عندما يكون في حالة سكون ؟ .

إننا ندرك أن كل تعليل يتطلب تقديم شرح أكثر ، وأن كل عبارة نستخدمها تتطلب عبارات أخرى لتعريفها . ولكننا يجب أن لا نياس أو نسير في طريق مسدود .. وهكذا ، فإنه يجب أن نقدم عبارات ومفاهيم بالرغم من أننا لا نزال غير قادرين على تعريفها ، ونفترض وجود أشياء لا تزال بعيدة عن ملاحظتنا ، ونقدم مسلمات لا تزال غير قادرين على تعليلها وحالما نفعل ذلك ، فإننا نكون قد ابتدأنا في تكوين علم نظري ، أو غير تطبيقي أو شكلي .

لقد كانت الهندسة الإقليدية — باعتبارها علماً من علوم المساحة —
هى بداية العلم الشكلى . لقد كانت مبادئ إقليدس تعد كمقياس لجميع ما يكتب
فى الرياضيات ، والمنطق ، والفلسفة وأيضاً العلم الشكلى . إن تركيب العلم
الشكلى هو كما يلى :

- ١ — عبارات غير معروفة تحتوى على عناصر وعلاقات .
- ٢ — مسلمات بتشديد اللام المفتوحة — ، أى بيانات تتعلق بعبارات
وعلاقات غير معرفة ومن المفترض صحتها .
- ٣ — استنتاجات أو نظريات .

ولكن ذلك التركيب الشكلى يجب — بكيفية ما — أن يتم دعمه بالملاحظة .
وفى الواقع ، فإن عملية بناء العلم الشكلى تكون بالأسلوب العكسى . أى أن
العالم يبتدىء بالملاحظة ، ثم يحاول بعملية حسائية أن يكون مسلمات وأن ينظم
الأشياء الغير قابلة للملاحظة التى سوف تمثل العبارات الغير معرفة بالنسبة له .
ولتصوير تلك العملية ، فلننظر فى الميكانيكا النيوتينية . لقد قبل نيوتن
الوقت ، والفضاء ، والمادة ، والحركة ، والقصور الذاتى ، والقوة كعبارات
غير معرفة ، ثم قدم المسلمات التالية :

١ — إنه يوجد زمن مطلق يسير باطراد من اللانهاية السلبية إلى اللانهاية
الإيجابية .

٢ — إنه يوجد فضاء مطلق تنطبق عليه خصائص الفضاء الإقليدى ذى
الأبعاد الثلاثة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن جميع تلك المسلمات ، مثل الأرقام الحقيقية ،
والجبر ، وحساب التفاضل ، وحساب التكامل ، قد تم قبولها ، وتم أيضاً
قبول الثلاثة قوانين للحركة .

لقد أدت الميكانيكا النيوتينية عملاً جليلاً بالنسبة للأشياء الكبيرة الحجم
ذات السرعة البطيئة . لقد كانت إحدى نظريات الميكانيكا النيوتينية تقضى
باحتمال قياس سرعة الأرض فى الفضاء المطلق . وفشلت جميع المحاولات

للقيام بذلك . ولقد قدم أينشتين مجموعة مختلفة من المسلمات – بفتح اللام المشددة – ومجموعة جديدة من العبارات الغير معرفة بتشديد الراء المفتوحة –

ويوجد مقياس معين يجب أن تقابله أية نظرية علمية مقترحة قبل أن يتم قبولها كتفسير محتمل للأمور الدنيوية الواقعية . وإن « اكتشاف » أو « ابتكار » العالم لنظرية جديدة يعتبر نقطة أخرى هامة . إن التخمين ، والحدس ، والتجربة والخطأ ، والبصيرة ، والبديهة ، والخيال ، والوحي ، وتطبيق المنطق لاختيار واحد من بين أشياء بديلة ، والحظ ، والأعمال الفذة ، وغير ذلك قد ساهم جميعه ، في وقت أو آخر ، في تكوين الفرضيات العلمية .

إن المقياس الأول لقبول الفرضية هو أنها يجب أن تقدم تفسيراً لبعض الحقائق ، يكون معقولاً ظاهرياً .

وإن المقياس الثاني هو أنها يجب أن تكون قابلة للاختبار عن طريق الملاحظة المباشرة وغير المباشرة ، وهذا ما يسمى بمقياس الدحض (أو الإثبات) .

وإن المقياس الثالث هو أنها يجب أن لا تكون على خلاف مع النظريات الأخرى المقر بها ، وهذا ما يسمى بمقياس التوافق (أو المحافظة على القديم) وإن المقياس الرابع هو أنها في حالة إحلالها مكان فرضية سابقة ، فإنها يجب أن تشرح جميع الحقائق التي شرحتها الفرضية السابقة بالإضافة إلى حقائق أخرى لم تستطع الفرضية السابقة أن تشرحها وهذا ما يسمى بمقياس التعميم أو الشمول .

لقد كان تاريخ الفيزياء الحديثة هو تاريخ فرضيات ونظريات دائمة التغيير وفي حين أن النظريات المعقدة للنسبية قد سارت على نهج هندسة التفاضل (في محاولة لبناء نظرية ميدانية موحدة) ، فإن نظريات الكم الميكانيكية قد أرغمت على تبني تركيبات احتمالية ، وهنا فإن مسلمات الحتمية ، وعلاقة

اللعلة والمعلول قد وجب استبدالها باللاحتمية أو الاحتمال . وقد تم تبني مصطلحات حديثة تماماً وهي نظرية الاحتمال والتسلسل العشوائي .

وإن العلوم الأخرى ، التي لا تتماثل مع الفيزياء في كونها رياضية وشكلية خاصة تلك التي تعالج ظواهر طبيعية واسعة النطاق .. مثل الجيولوجيا ، وعلم المحيطات ، وعلم الأجواء ، والديمغرافية ، والاقتصاد والاجتماع .. تكون في مراحل وصفية تحليلية مختلفة . وتظل مفاهيمها غامضة .. ما هي السحابة ؟ .. أو العاصفة ؟ .. إننا ليس لدينا مقاييس دقيقة .. فكيف نستطيع قياس تأثير ارتفاع سعر البترول من خلال أسلوب حياة (جون دو) ؟ .. إن الفرضيات لا تقترح نفسها . ومع ذلك ، فإن الفيزياء قد وضعت القاعدة وتبذل العلوم الأخرى أقصى جهدها لتكوين تركيبات شكلية .

٣ - هل يفرض العلم علينا رؤية معينة للعالم :

إننا جميعاً نكرس الكثير من وقتنا للتأمل بأسلوب أو آخر . ويكثر العالم من التأمل عند تكوينه الفرضيات ، والتفسيرات والنظريات الأساسية .. ويجرفه ذلك التأمل أحياناً خارج نطاق الحدود المعقولة حتى أنه يصبح فيلسوفاً يعالج الأشياء الخارقة . لقد كانت الطريقة العلمية فعالة للغاية في اكتشاف الكثير من الحقائق ، وإننا جميعاً نتفق على ذلك . وهكذا ، قد يصبح أحدنا متعصباً لها للغاية حتى أنه يدعى أن الطريقة العلمية فقط هي القادرة على اكتشاف الحقيقة ، ويصل الأمر إلى أنه لا يزدرى الأديان فحسب ، بل أنه يزدرى العلوم الاجتماعية أيضاً لأنها تبدو أدنى مرتبة من العلوم الطبيعية والرياضيات . وهذا هو ما يسمى بالعلمية . وبنفس الأسلوب ، يدعى الفيزيائي أن المادة ، أو الكتلة أو الطاقة هي حقيقة واقعة . ونحن جميعاً نتفق على ذلك ، ولكنه قد يصبح أحدنا متحمساً لها للغاية حتى إنه يدعى أن الحقيقة الوحيدة هي المادة ، أي أن المادة هي الحقيقة النهائية . وهذا هو ما يسمى بالمادية . ويدعى الفيزيائيون أيضاً أن الذرات الأولية للمادة ، والالكترونات والنيوترونات ، إلخ . من الممكن شرحها فقط كشحنات موجبة محتملة

الحدوث ، وليس ككوكب « مادية » صلبة . والآن ، فإن « الشحنة الموجبة المحتملة الحدوث » هي تركيب عقلي (رياضي) بحث . وقد يفتن ذلك الأمر شخصاً ما للغاية حتى أنه يدعى أن الحقيقة النهائية هي ما يتصل بالعقل .. وهذا هو ما يسمى بالمثالية وللكشف عن أوجه اختلاف تلك الآراء ، فلنتدبر في الآتي : لقد قال (ديكارت) « أعطى مادة وحركة وسوف أبني الكون » ، وقد ادعى (إدنجتون) « أعطى مقداراً كبيراً من العلاقات وسوف أخلق المادة والحركة » .

إن العبارة الأولى هي رأى شخص يعتقد المذهب المادى ، فقد كانت المادة والحركة بالنسبة له هي الحقائق النهائية ، في حين أن العبارة الثانية ، هي ادعاء شخص يعتقد المذهب المثالى الذى كان العقل هو الحقيقة النهائية بالنسبة له . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن بعض مجالات العلم تقترح الحتمية في حين أن مجالات أخرى تقترح الاحتمية .

وهكذا فإننا نرى أن العلم لا يفرض علينا أية رؤية معينة للكون . إن المادية ، والحتمية ، والمثالية ، وغير ذلك من المذاهب تعد فلسفات فيما وراء العلم ، ولا تنبع من العلم بطريقة منطقية .

لماذا يتحول بعض العلماء إلى فلاسفة ؟ إن تفسيرى كالاتى :
إن الكثير من النظم العلمية تفصل جزءاً من الكون أو وجهاً معيناً من الكون لإجراء دراسة مكثفة عليه . وفي تلك العملية ، فهى تتجاهل الأوجه الأخرى من العالم عن عمد باعتبارها غير متصلة بالموضوع .. وهكذا ، فإن العالم الفيزيائى ، في سياق حديثه عن المادة والحركة ، يصبح لديه « الفيل الذى ينزل على منحدر التل العشبي .. » كتلة ذات وزن تتحرك فوق السطح المنحدر ذى المنحنى (أ) ومجاول الاحتكاك (ب) . أما بالنسبة للحم ودم ، وخرطوم وذيل الفيل ، والرج العشبي والتلال المتدحرجة ، فإن تلك الأشياء جميعها تعتبر غير ذات قيمة بالنسبة له . وبالنظر إلى ذلك الموقف ، هل يكون مما يثير الدهشة أن ينتهى نيوتن أو ديكارت إلى الشعور بأن المادة والحركة هما الحقيقة أم اللحم والدم فلا .

. إن النقطة الأساسية هي أن عقل الإنسان هو الذى يقسم الكون ، وليس أن الكون هو الذى يقسم نفسه إلى تلك الأجزاء . إن أية فلسفة يتم التوصل إليها عن طريق المبالغة فى تعميم نظرية معينة - صحيحة بالنسبة لنظام علمى معين - لتشمل الكون بأكمله ، سوف تكون فلسفة زائفة . ولقد تمت المبالغة حتى الآن فى تأكيد النظريات الفيزيائية لتقديم المادية ، والحتمية ، والعلمية الخ وأحياناً ما يعمم شخص مبدأ « البقاء للأصلح » على العلاقات بين الأمم ، وهكذا يضع تبريراً علمياً للتفرقة العنصرية .

٤ - الافتراضات السابقة للعلم :

إن الحقائق (الواقع أو الحقيقة) هي هدفنا . وأن الملاحظة هي الطريقة التى تمكّننا من التوصل إلى الحقائق ، ويتم تطبيقها فى الحياة العادية وفى مجال العلم . وتنتقل ملاحظة الشخص إلى الآخرين عن طريق استخدام الإشارات ، والرموز ، والكلمات والبيانات .

والآن ينشأ الكثير من الأسئلة الهامة :

هل ما ألاحظه يوجد بالفعل .. ؟

ماذا يعنى القول أنه يوجد شيء ؟

هل أى شيء موجود يكون من الممكن لى أن ألاحظه ؟ أو يكون من الممكن لشخص آخر أن يلاحظه .. ؟

هل تستطيع الإشارات ، والرموز ، والكلمات والبيانات التى أستخدمها لأصف ملاحظاتي أن تنقل للآخرين ما ألاحظه ؟ ..

هل الأشياء التى يقول الآخرون إنهم لاحظوها توجد حقيقة .. ؟

إن تلك الأسئلة ليست بأسئلة تافهة . وفى الحقيقة فإنه فى الوقت الحاضر توجد فى العالم ديانتان يدين بهما ملايين من الناس ، وهما الهندوسية والبوذية اللتان تعتبران الكون « كوهم » ، أو مجرد خيال .

إن الكثيرين من الفلاسفة الأوروبيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

مثل (لوك)، وهيوم ، و(ديكاوت)، كانوا قد أنفقوا حياتهم في محاولة لحل مشكلة المعرفة الإنسانية ، وعلاقتها مع « الأشياء في حد ذاتها » . وأيضاً ، ما نلاحظه من خلال حواسنا لا يبدو أنه يتشابه كثيراً مع ما نلاحظه من خلال النظرة العلمية . وهكذا ، فإن الكرة الحديدية الصلبة يتضح أنها ليست بأكثر من تسع وتسعين في المائة فراغا .

إننا لا نعطي العلم أية قيمة لو أننا اعتقدنا أن ما نلاحظه ليس له حقيقة . أو إذا أصررنا على أنه ليس هناك شيء جدير بالصدق سوى ما نلاحظه بأنفسنا . إننا نجري بحثنا بطريقة منظمة ، ومثابرة يتخللها الكثير من العناية والدقة ، مع إيماننا التام بأن ما نلاحظه يكون موجوداً بطريقة منفصلة ومستقلة عنا سواء لاحظناه أو لم نلاحظه . إننا نؤمن بشدة أن الكون قد وجد قبل وجود أي من البشر ليقوموا بإجراء ملاحظاتهم ، وقد كانت الموجات الإشعاعية ، والإشعاعات الألكترونية الكونية ، وكل ما اكتشفه العلم الحديث موجوداً منذ بدء الخليقة بالرغم من أننا اكتشفنا وجوده حديثاً فقط . وإننا أيضاً نعلم أنه قد كان هناك شخص يدعى نابليون ، بالرغم من أنه ليس هناك أي شخص على قيد الحياة اليوم قد رآه شخصياً . وبالإضافة إلى وجود الأشياء المادية المدركة بالحواس ، فإننا أيضاً نفترض وجود الفضاء والزمن ، ووجود الإتساق في القوانين الطبيعية ، وفوق كل شيء فإننا نؤمن بقابلية الكون المدرك بالحواس للاستكشاف من خلال الملاحظة ، وقابلية الأشخاص المراقبين للمقارنة أو التبادل . وبالإضافة إلى ذلك ، فإننا نفترض صحة بعض المبادئ المنطقية والرياضية المعينة ونفترض منهم معاني الإشارات ، والرموز والكلمات والبيانات فيما يتعلق بالاتصال بين البشر ؟

- ونستطيع أن نضع قائمة بالافتراضات الرئيسية السابقة للعلم كما يلي :
- ١ - أنه يوجد كون مستقل بصرف النظر عن وجود أشخاص ليلاحظوه .
 - ٢ - إن البشر جزء من هذا الكون وهم قادرون على استكشافه من خلال الملاحظة .

٣ - إن الأحداث والعمليات في الكون تحدث في الزمان والمكان أو الزمكان

٤ - إنه توجد بعض القوانين الطبيعية التي تكمن وراء تلك الأحداث والعمليات .

٥ - إن تلك القوانين الطبيعية قابلة للاكتشاف ، على الأقل بشكل تقريبي ، بواسطة الطريقة العلمية للتصنيف ، والتوحيد والترتيب ، والقياس ، ووضع النظريات .

٦ - إن جميع البشر لديهم نفس الملكات الحسية والعقلية.

إنه من الواضح أن الافتراضات السابقة للعلم ليس من الممكن تبريرها بواسطة الطريقة العلمية ذاتها . وفي الحقيقة إننا نضع تلك الافتراضات السابقة لتبرير الطريقة العلمية . مثلاً فإننا ما كنا نستطيع تطبيق الطريقة العلمية لو لم تكن هناك نظامية في الكون لأنها تكون عديمة الجدوى في ذلك الحين .

حينئذ من أين يأتي تبرير تلك الافتراضات السابقة ؟ .. قد نقول أنها أشياء بديهية ، ولكنها ليست كذلك . فإننا نلاحظ أشياء عشوائية أكثر مما نلاحظ انتظاماً واتساقاً . وفي الحقيقة ، فإنه يوجد الكثير من الأسئلة العميقة في مجال الفيزياء والتي تلقى الكثير من الشك على صحة الافتراضات السابقة بأنه توجد قوانين طبيعية ، أي علاقات سببية ضرورية . وإننا كلما اعتمدنا - بصفة أكثر - على الطرق الإحصائية ، فإننا سوف نرضى عن العلاقات التجريبية .

وإن الإمكانية الأخرى هي أن نقول : إن تلك الافتراضات السابقة تعد صحيحة بتعريفها .. ولذلك إذا تمت ملاحظة بعض الأحداث التي لا تتوافق مع القوانين المعروفة فإننا لا نستطيع إنكار أنها الطبيعة . ولكن التعريف يعتبر عملاً تحكيمياً . وإننا لا نستطيع اكتشاف خصائص الكون بمجرد وضع تعريف لها . وفوق ذلك فإننا حين نلاحظ حادثة ليس لدينا تفسير لها فإنه من المحتمل أن تكون نظريتنا خاطئة ، ولقد أصبح من الضروري إجراء تعديل للميكانيكا النيوتينية فقط بعد ملاحظة أشياء غير متوقعة . ولقد تم

كتشاف الإشعاع (الذرى) الموجى ! بطريقة غير متوقعة . وإذا قلنا إن النظرية الحالية تحتوى على جميع القوانين الطبيعية فإننا نحرم أنفسنا من فرصة تطوير نظرياتنا عند ملاحظة حقائق جديدة غير متوقعة .
إن الاتجاه السائد بين العلماء هو أن نقر بصحة تلك الافتراضات السابقة طالما أنها تفى بالغرض ، وأنها قد أفادتنا كثيراً حتى الآن ويبدو أنها جديرة بالصدق ومعقولة .

• هل يستطيع العلم إثبات وجود الله :

لقد ألقى الناس هذا السؤال منذ الأزل : هل يمكننا إثبات وجود الله ؟
والآن ، قبل أن نجيب على ذلك السؤال يجب أن نفهم معنى الإثبات .
إن « الإثبات » أو « البرهان » هي عبارات تنتمى إلى لغة المنطق والرياضيات التى تعتبر علوماً شكلية . ويبتدىء كل علم شكلى ، كما شرحنا من قبل ، ببعض المفاهيم الغير معرفة ، والبيانات المفترضة (المسلمات) التى تعرف العلاقات بين تلك العبارات الغير معرفة . وبعد أن تتوفر لدينا تلك العبارات الغير معرفة ، وتلك العلاقات ، ونظام المنطق ، فإننا نبتدىء فى استنتاج بيانات أخرى تسمى بالنظريات ، وإن الخطوات المنطقية التى نستخدمها للتوصل إلى النظرية تسمى بالبرهان .

وهكذا ، فإن الإثبات يعد صحيحاً فى إطار العلم الشكلى والمنطق الشكلى .
والآن ، يمكننا إعادة صياغة السؤال كما يلى : هل يعتبر القول « الله موجود » بمثابة نظرية تنتمى إلى العلم الشكلى المقبول حالياً ؟ .. قد يستطيع العلم وقد لا يستطيع إثبات ذلك القول . وإذا افترضنا أن العلم يستطيع أن يثبت وجود الله فإننا حينئذ يجب أن نكون واضحين بالنسبة لما سوف يعنيه ذلك . إننا سوف نؤمن بالله لنفس الأسباب التى تجعلنا نؤمن بالالكترونات ، أى لأن كليهما يقر به العلم وتبرره الافتراضات السابقة للعلم . ولكن هل من الممكن إثبات تلك الافتراضات السابقة ؟ إنها ليس من الممكن إثباتها ، كما أشرنا من قبل ، لو لم نقدم بعض الافتراضات الأخرى السابقة لإثباتها . ونحن نقبلها فقط .

لأنها تفنى بالغرض . ولهذا ، فإن الإيمان بالله سوف يتحول إلى إيمان بالعلم ،
وسوف يتحول الإيمان العلمى إلى إيمان بالافتراضات السابقة للعلم . . . التى
يكون مبررها الوحيد هو وفاؤها بالغرض .

إن الشيء الآخر المشوش بالنسبة لإثبات وجود الله هو أن الله سوف
يبدو ككائن مختلف فى كل حالة ، نتيجة لاعتمادنا على الافتراضات السابقة
ونظام المنطق . يوجد إثبات لوجود الله عند ابن سينا . ولكن كيف كان الله
طبقاً له ؟ . . . لقد كان اسمه هو « واجب الوجود » أو العلة الأولى ، أى أنه
كان يعتبره مجرد وجود منطقى ، بلا إرادة ، وبلا معرفة ، والذي ينبع منه
الكون بالضرورة ، أى أن الكون هو المعلول . وبما أن العلة والمعلول ليس
من الممكن فصلهما ، فإن الكون يتأثر فى الأزلية مع الله . ومن الواضح أن
النظام المنطقى الذى يحوز على تلك الحقائق البديهية (العبارات الغير معرفة)
مثل « الضرورة » ، « الكفاية » ، « العلة والمعلول » ، والمسلمات مثل
استحالة النكوص اللانهائى ، يستطيع فقط أن يتوصل إلى إله لا يكون بأكثر
من العلة الأولى . ونستطيع أن نستعوض بالحرف س عن كلمة « الله » فى
استعمالاتها فى كتابات ابن سينا ، أى أننا نستطيع أن نقول أن س هو العلة
الأولى ، وليس من الممكن نسبة أى شيء إلى س سوى أنه الاسم الذى يمثل
العلة الأولى .

ومن المهم أن نلاحظ أن اسم « واجب الوجود » أو « العلة الأولى »
ليست من أسماء الله الواردة فى القرآن . وقد أظهر الغزالي أن تلك المفاهيم
مثل « الضرورة » ، « العلة والمعلول » ، تحكمية وليست بديهية على الإطلاق
بعد تحليلها . بطريقة منطقية وبنفس المنطق ، لو أنه كان من الممكن إثبات
القول أن « الله موجود » من خلال أسلوب رياضى ، حينئذ فإن مثل ذلك
الإله سوف يكون كياناً رياضياً متوقفاً على صحة العبارات الغير معرفة والمسلمات
المنتمية لذلك النظام الرياضى . وفى الحقيقة ، فإن (جيمس جينز) قد قرر
أن الله كان رياضياً ، فى حين لم يؤمن (إدنجتون) بإمكانية ذلك ، ويوجد آخرون .

ممن يطرحون حجة « التصميم الكلى » يتصورون الله كمهندس أو كصانع
ساعة الكون . إن الحقيقة البسيطة هي أن الإنسان إذا توصل في أى وقت
إلى إثبات وجود الله ، فإنه يكون قد عبر عن الله من خلال تصوره هو ،
وإن الدرس الذى يجب أن نتعلمه جيداً هو أننا يجب أن لا نحاول السعى
وراء إثباتات لوجود الله فى نطاق نظم المعرفة الإنسانية . أليست آيات الله
كافية للبشر .. ؟ .

للبحث بقية :

وكالات توزيع المصاحم المعاصر

الإشرام - إدارة التوزيع
شارع الجلاء - تلفون ٤٦٤٦ - القاهرة

● جمهورية مصر العربية :

Societe cherifienne De. Distribution
et de Presse Angles. Rues Dinant
et saint seens B.P. 683 casablanca
MAROC

● المغرب :

الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج - ص.ب ٤١٠ - تلفون
٢٥٥٠٠٠ تونس

● الجمهورية التونسية :

- جدة - الأستاذ أحمد بايزيد ص.ب : ٩٥٠
- المدينة المنورة - مكتبة ضياء
- الرياض - الأستاذ عبد الرحمن الجريس ص.ب : ٤٥٠

● المملكة العربية السعودية :

دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٨٥٧ - تلفون ٤٢١٩٨٢ - الكويت

● دولة الكويت :

الشركة العربية للوكالات والتوزيع
ص.ب ١٥٦ - تلفون ٥٥٧٠٦ - النامة

● دولة البحرين :

MUSLIM WELFARE HOUSE
86 Stapleton Hall Road
London N4 4QA Tel. 340 6481 U.K

● U.K :

ISLAMIC BOOKSHOP
Valby Langgade 25
2500 Valby — Kobenhagen — DENMARK

● DENMARK :

ISLAMIC BOOK SERVICE
407 N. Ingalls street, Ann Arbor,
Tel (313) 994 — 5752 MICH 48104 U.S.A.

● U.S.A. :

حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

خالد . م . اسحاق

إن القرآن بالنسبة للمسلمين يمثل أوج مسيرة طويلة من الوحي الإلهي لهداية الإنسانية . ونستطيع أن نقول أنه يشير إلى افتتاح فصل جديد في تاريخ الإنسان . ويشهد القرآن على المركز السامي للإنسان في سلسلة درجات الخليفة .. حقاً ، « ولقد كرّمنا بني آدم » هذا هو ما أعلنه القرآن . وإن القرآن علاوة على ذلك قد وصف الإنسان كحامل لأمانة عظيمة (٣٣ - ٧٢) ومتلق لقوى عظيمة (٤٥ - ١٣ ، ١٦ - ١٤ ، ١٤ - ٣٢ ، ٣٣) . وفي حين أنه في الديانات السابقة الموحى بها لا يتميز الفرد عن القبيلة بطريقة واضحة ، فإن القرآن يحمل رسالة مباشرة إلى الفرد ووعداً بتقرير مصيره . وهو يوضح أنه من الآن فصاعداً لن يأتي أي نبي ومعه معجزات حاضرة ليثبت صدق رسالته ، ولن يبقى أيضاً مثل موسى كرفيق دائم ومرشد لمجتمعه . فعند إتمام رسالة محمد ، سوف تنشأ الإنسانية لتحقيق مصيرها بجهودها الخاصة في ضوء الشريعة الموحى بها والحكمة المتضمنة في القرآن (١) وسنة (٢) النبي محمد . إن الجهود التي تقام على أساس علاقة صحيحة بين الإنسان والله طبقاً للوعد الإلهي الذي تكرر ذكره في القرآن - سوف تجلب سعادة عظيمة ورضى لا في الحياة الدنيا فحسب ولكن في الحياة الآخرة أيضاً .

وفي القرآن يتم التوفيق بين المذهب اليهودي الفقهي للغاية وبين التسامح الذي كثيراً ما أكد عليه المسيح ، وينشأ عن ذلك تركيب جديد . إن القرآن يعلن بجلاء أن تطبيق القانون أمر صالح بدون شك ، ولكن التسامح يحمل أجراً أعظم للفرد الذي يسامح (٤٢ - ٤٠ - ٤٣) ويجب أن يكون الأمر كذلك ، لأن الروح - خلافاً للجسم الذي ينمو على أساس الأخذ - تنمو بواسطة التنازل عما يرغب فيه العنصر الحيواني داخل الإنسان . إن المجتمع - في عبادة أخرى - هو الحقل لممارسة كل من القانون والأخلاقيات . وطبقاً للقرآن ، فإن كل شخص يقبل الإسلام ، يلتزم بإنفاق حياته وجميع ثروته للإيفاء بعهدته مع الله الذي قد وعد بمقتضاه بحياة أعظم سعادة في الآخرة (٩ - ١١١) . إن المسلم يلتزم بأن يفعل كل ما في وسعه بصرف النظر عن سلوك الآخرين (٤ - ١٠٥) لأن التزاماته فردية بالنسبة له ، وتتقدم على حقوقه .. وقد تلخصت خطبة النبي الشهيرة - في حجته الأخيرة إلى مكة - أبعاد تلك الإلزامات بصورة متقنة ، فقد قال :

« يقول الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .. يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا (٣)

وفي مناسبة أخرى عند الطواف بالكعبة (٤) ، قال النبي وهو ينظر إلى الكعبة « ما أطيبك وأطيب ريحك ؛ وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ؛ ماله ودمه ، وأن نظن به خيراً » (٥)

إن الله في الإسلام هو واضع القانون ، وإن القانون الإلهي ، المسمى « بالشرعة » (٦) هو فوق الأحكام والمحكومين . إن الجميع مسئولون على قدم المساواة في محراب الشرعة بالنسبة لأفعالهم وأخطائهم . وإن الأوامر الشرعية فقط - كما قال النبي - هي التي يجب إطاعتها ، ولا يجب أن تكون هناك

أية طاعة أو تعاون في أي شيء يتضمن عصيان القانون الإلهي (٥ - ١٠٥)
إن ممارسة السلطة العامة أمانة ، وكل مؤمن ملزم بمقتضى عهده أن يفي بأمانته
بإخلاص (٤ - ٥٨) ، وأن يساعد الآخرين على عمل ذلك (٥ - ٢) ،
ولذلك فإن السلطات العامة تعمل في نطاق محدود ، في حين أن واجباتها
تمتد إلى :

١ - إقامة العدل في المجتمع ، بواسطة تنفيذ الإلزامات القانونية الخاصة
بمعاونة الضعفاء ومعاينة المنحرفين عن عمد .

٢ - القيام بواجبات المجتمع الإلزامية مثل جمع ضريبة التأمين الاجتماعي
(الزكاة) وتوزيعها على المحتاجين نتيجة عجز دائم أو مؤقت (٧) .

٣ - القيام بأداء الواجبات التي ليس من الممكن ، بطبيعتها ، أن يتم أدائها
بواسطة الأفراد ، مثل تولى الأشغال العامة والدفاع عن الحدود .

٤ - معاونة الأفراد على الإيفاء بالتزاماتهم الأخلاقية .

ومع ذلك فإن سلطاتها لا تتضمن :

(أ) أية سلطة لإلغاء القانون الإلهي كلياً أو جزئياً .

(ب) أية سلطة لتغيير الأولويات المحددة بواسطة القانون الإلهي (٩ - ١٩)
باتخاذ التزامات أخرى وتفضيلها على تلك التي أمر بها الله .

وبعبارة أخرى : فإن أعضاء الهيئة التشريعية في الدول الإسلامية ليس
لديهم سلطة مطلقة أو تامة لأن يقوموا بالتشريع كيفما شاءوا ، وبالمثل :
فإن أعضاء الهيئة التنفيذية ليست لديهم السلطة لأن يتصرفوا كيفما شاءوا .
بل يجب أن يحاولوا دائماً أن يتصرفوا في نطاق الحدود التي وضعها القانون
الإلهي ، ولتحقيق الأهداف التي حددها القانون الإلهي ، وأن يكون ذلك
أيضاً طبقاً للأولويات التي أقرها القانون ذاته .

وبما أن الطاعة كلها تقوم على أساس الافتراض بأن الأمر غير متعارض
مع القانون الإلهي ، فإنه ليس من الممكن أن تكون السلطة التنفيذية أو
التشريعية هي الحكم النهائي لما هو قانوني وما ليس كذلك . ولذلك فهم

لا يستطيعون تحريم المراجعة القضائية لأفعالهم عن طريق استبعادهم المباشر أو الغير مباشر للسلطة القضائية :

وقبل أن نبدأ في بحث تطور الحقوق الأساسية التي تم ذكرها بوضوح تام في خطبة النبي الواردة في فقرة ٢ مما سبق ، فإنه يجدر بنا ملاحظة الأوجه الوثيقة الصلة ببدأ « الشرعية » في الشريعة الإسلامية . إن الدفعة الرئيسية لتعليمات الإسلام تهدف إلى تشكيل إنسان مكتمل أخلاقياً . وقد أعلن النبي محمد « إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق » (٨) .

ويأمر القرآن بأداء أشياء معينة ويحرم أداء أشياء أخرى . وبالرغم من أن الحساب الأخير سوف يكون في يوم الحساب ، فإن بعض الآثام — مع ذلك — تم معاقبتها في الدنيا طبقاً لنصوص جاءت في القرآن ذاته ، كما أن بعضها لا تتم معاقبتها في الدنيا . إن المجتمع ككل ، مثله مثل الأفراد ، موجه دائماً لأن ينشد التطور في نطاق المبادئ التي وضعها القرآن . ومن الناحية السلبية : فإن المجتمع ككل وكذلك كل فرد يحظر عليه انتهاك ما وصفه القرآن بـ « حدود الله » (٢ - ٢٢٩) . ومن الناحية الإيجابية ، فإن الوصية الدائمة إلى المسلمين أن ينشدوا الطرق والوسائل التي تكفل لجميعهم ما نطلق عليه في اللغة الحديثة « حقوق الإنسان » . وفي الواقع ، فإن كفالة الحقوق الأساسية في الدول الإسلامية تعتبر الهدف الذي تروجه إليه جميع الطاقات الاجتماعية على جميع المستويات . إن التشريع والمراجعة القضائية يعتبران ضمن الوسائل الملائمة لذلك الغرض ، لأن المطلوب من جميع الطاقات التشريعية ، والتنفيذية والقضائية أن تتجه إلى خلق مجتمع عادل وأخلاقي ، والحفاظ عليه . وعلى أساس تلك النظرة ، فإن الفارق الوحيد بين الهيئات الحاكمة والفرد العادي هو أن الأولى تحمل عبئاً أكبر من المسؤوليات ، وهي أيضاً تعمل تحت قيود دستورية محددة ، ولا تستطيع إلا أن تقوم بالعمل لدعم أهداف وواجبات المجتمع . وفي تلك المسيرة ، يظهر عدد كبير من الحقوق لصالح الفرد ، وليس من الممكن إيقاف أو إلغاء تلك الحقوق ، لأنه ليست هناك غاية أسمى تخضع لها :

وطبقاً للقرآن فإن « الخلافة في الأرض » أو السلطة السياسية في اللغة الحديثة تعد هبة للمجتمع بأكمله (٢٤ - ٥٥ ، ٥ - ٢٠ ، ٢٢ - ٤١) ولا يستطيع أي شخص أن يدعى حقاً استثنائياً لممارستها (٣ - ٧٩) . ولقد طلب من النبي الذي كان هو ذاته المتلقى المباشر للوحي أن يستشير أفراد المجتمع عند تقرير الأمور . وهو قدوة ملزمة للمجتمع بأكمله لأن الله قال : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » . (٣٣ - ٢١) وحتى من نواحي أخرى ، فإن المجتمع الإسلامي الصحيح يوصف بأنه مجتمع يتم اتخاذ القرارات فيه بطريق المشاورات (٤٢ - ٣٨) .

إن الكلمة التي استخدمها القرآن هي « الشورى » . وفي الترجمة فإن كلمة « Consultation » لا تفي تماماً بالمعنى الكامل . وفي الأصل ، فإن كلمة « الشورى » كانت تطلق على عملية جذب العسل من الخلية . (٩) وكان استعمالها الثانوي يتعلق بعملية المناقشة المتبادلة والمشاورات إلى أن يتم الاتفاق بالإجماع العام على أسلوب للسلوك . وإن عوامل مثل إرادة الأغلبية أو المشاورات الغير ملزمة لم تتدخل فيما كان يشار إليه في الأصل بكلمة « الشورى » . وعلاوة على ذلك ، فإن السلطة تعطى إلى المجتمع لإقامة « العدل » ، أي لإقامة مجتمع عادل وأخلاقي يستطيع أن يعيش وينجح فيه الأشخاص العادلون المتحلون بالأخلاق .

وبعد أن ذكرنا هذه المقدمة نستطيع أن نصوغ بعضاً من الحقوق الأساسية المتضمنة في القرآن :

١ - الحق في حماية الحياة :

طبقاً للقرآن ، فإن حياة الإنسان مقدسة ومن بين الآيات العديدة التي تؤكد حرمة انتهاك حياة الإنسان - إلا لسبب عادل - نستطيع أن نورد ما يلي (١) « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » . (١٧ - ٣٣) . (٢) « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » (٥ - ٣٢) .

٢ - الحق في العدل :

إن أول وأهم واجب للنبي كان هو إقامة العدل ، ولا يزال هو واجب أفراد المجتمع ، وهيئاته الحاكمة . وإن السلطات الحاكمة ليست مسئولة فقط عن إقامة العدل للجميع ، بل تعطى كل فرد الحق في الاحتجاج على الظلم . ونستطيع أن نورد في هذا الخصوص الآيات التالية من بين آيات أخرى :

(١) « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » . (٤٢ - ١٤)

(٢) « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . (٥ - ٨)

(٣) « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » . (٥ - ٤٤)

(٤) « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . (٥ - ٤٥)

(٥) « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » . (٥ - ٤٧)

(٦) « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » . (٤٢ - ٤٠ - ٤٢)

٣ - الحق في المساواة :

يعترف القرآن بمقياس واحد فقط للتفضيل فيما بين الإنسان وأخيه الإنسان وهو ما يرجع إلى السلوك الأكثر تقوى . ولا يعتد بأى تمييز قائم على أساس النسب ، والعلاقات القبلية واللون والأرض . وتعد الآيات التالية ميثاقاً عظيماً في هذا الشأن :

(١) « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

(٤٩ - ١٣)

(٢) « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » .

(٤٦ - ١٩)

٤ - واجب اطاعة ما هو شرعى والحق في عصيان ما هو غير شرعى :

إن المعنى الواضح لفكرة حكم الشريعة هو أن يكون الشخص مسئولا فقط عن إطاعة ما هو شرعى والابتعاد عما هو غير شرعى وعصيانه ، بل وتصحيحه اذا استطاع . وقد تضمنت الآية التالية أكثر التعبيرات شهولا : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

(٥ - ٢)

وقد روى عن النبي أيضاً أنه أعلن مراراً : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (١٠) .

٥ - حق المشاركة في الحياة العامة :

إن إقامة السلطة في هذه الدنيا — طبقاً للقرآن — تعد نعمة من عند الله لمصلحة المجتمع بأكمله الذى يدرك أعضاؤه دائماً واجباتهم والتزاماتهم، وإن سمة ذلك المجتمع هي أن شئون الناس تتم تسويتها من خلال المشاورات المتبادلة . وإن أكثر الآيات صراحة حول تلك النقطة هي :

(١) « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم »

(٤٢ - ٣٨)

(٢) « وشاورهم في الأمر »

(٣ - ١٥٩)

٦ - الحق في الحرية :

إن الدساتير الحديثة تقسم الحرية إلى أقسام مختلفة مثل حرية التعبير ، وحرية الحركة .. إلخ . والقرآن لا يشير إلى ذلك فحسب ، ولكنه من بين توجهات أخرى قد وضع تصريحاً شاملاً : أنه ليس لأى شخص في السلطة - حتى النبي - الحق في استعباد شخص آخر بأى أسلوب . يقول الله :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » . (٣ - ٧٩) إن جوهر العبودية ذاته هو : أن العبد ليس له ملاذ ضد سيده ، بل هو تابع تماماً لمشيئة سيده . إنه إنكار لكرامة الإنسان - وفقاً للقرآن - أن يكون الشخص بلا ملاذ أو وسيلة لحمايته ضد الأشخاص الموجودين بالسلطة . وفي الواقع يتعرض القرآن للإحتمال الواضح لنشوء نزاع بين السلطات العامة والأفراد . ومثل تلك المنازعات يتطلب حلها الرجوع إلى القرآن والنبي .

يقول الله :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » (٤ - ٥٩)
ويوضح القرآن في أماكن عديدة من الكتاب أن القرآن ذاته هو المقياس النهائي .

وقد أمر الله النبي أن يعلن :

« أفغير الله أبغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » .

(٦ - ١٤٤)

٧ - الحق في حرية العقيدة :

مصبح الإنسان - طبقاً للقرآن - مستحقاً للإجلال الروحي عندما يختار

الطريق القويم بإرادته . وليس من الممكن إرغام أى شخص على أن يصبح شخصاً تقياً :

ونستطيع أن نذكر الآيات التالية في هذا الشأن :

(١) « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »

(٢ - ٢٥٦)

(٢) « فذكر إنما أنت مذكر » (٨٨ - ٢١)

(٣) « لست عليهم بمسيطر » (٨٨ - ٢٢)

(٤) « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من

يخاف وعيد » (٥٠ - ٤٥)

(٥) « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى

لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » (١٠ - ١٠٨)

٨ - الحق في حرية التعبير :

إن المؤمن يدين بالتزام قول الحقيقة بدون خوف أو رغبة في إظهار المحاباة .

ومن بين آيات أخرى ، فإن الآية التالية تعد تصريحاً شاملاً في هذا الشأن :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » :

(٤ - ١٣٥) :

وقد روى أن النبي قال :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (١١)

٩ - الحق في الحماية ضد الاضطهاد بسبب الاختلاف في الدين :

إن الحق في الحماية ضد الاضطهاد الناتج عن الاختلافات في العقيدة أو الرأي يعد نتيجة طبيعية للحق في حرية العقيدة . ولقد ذكر ذلك بوضوح ،

لأن الكثير من الآثام قام بارتكابها متعصبون حسنو النية ولكنهم مغالون في الحماس .

١ - « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » .
(١٠٨ - ٦)

٢ - « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

(٤٨ - ٥)

١٠ - الحق في حماية الشرف والسمعة الحسنة :

طبقاً لما جاء في القرآن فإن حماية سمعة وشرف أفراد المجتمع أمر له أسبقية كبيرة من بين القيم الاجتماعية التي يجب أن يعمل كل فرد على حمايتها وخاصة الهيئات الحاكمة . وأن الله يحذر المجتمع بشدة من الافتراء في الحديث والكذب والادعاءات المتهورة ونشر الإشاعات .
يقول الله :

١ - « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً . ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً » .
(٣٣ - ٦٠ - ٦١)

٢ - « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .
(٤٩ - ١١)

٣ - « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .
(٤٩ - ١٢)

٤ - « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » .
(٢٣ - ٢٤)

١١ - الحق في الحياة الخاصة :

إن الحياة الخاصة - طبقاً للقرآن - هي حق كل فرد . إنها ضرورية لا كمال الشخصية . ونستطيع أن ننظر في الآيات التالية في هذا الشأن :

١ - « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » .
(٢٤ . ٢٧ . ٢٨)

٢ - « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .
(٢٩ - ١٢)

٣ - « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إزاهُ ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستثنيين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » .
(٣٣ - ٥٣)

١٢ - الحقوق الاقتصادية :

إن من واجب كل مسلم أن يكسب قوته بالدارق المشروعة وأن يساهم أيضاً في الصالح العام آخذاً في اعتباره احتياجات هؤلاء الذين يعانون من عجز دائم أو مؤقت ، وهم لذلك لا يستطيعون المساهمة في التأمين الاجتماعي الذي يتحقق بواسطة نظام (الزكاة) . ومما يرتبط مع ذلك الالتزام ويعد نتيجة طبيعية له أن المؤمنين يجب أن تكون لديهم فرصة في العمل والكدح ليحصلوا على الغذاء والأشياء الأخرى الطيبة في الحياة (٤١ - ١٠) وليحصلوا على

أجر كامل وعادل في مقابل جهدهم . ونستطيع أن نتذكر الآيات التالية من بين آيات أخرى عديدة في هذا الشأن :

١ - « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » . (٥١ - ١٩)

٢ - « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » (٧٦ - ٨٠)

٣ - « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » . (٢ - ١٨٨)

٤ - « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » . (٤٦ - ١٩٠)

٥ - « ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » . (٣٩ - ٧٠)

٦ - « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . (٧٠ - ٣٢)

٧ - « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » . (٥٣ - ٣٩)

وفيما يتعلق بالسلطات العامة ، فإن عملها كوكيل عن الجماعة لا يازمها بأى شيء أكثر من رعاية حاجات الضعفاء الذين يعانون عجزاً دائماً ، أو عجزاً مؤقتاً ، حتى يتم إزالة ذلك العجز ، والتدخل عندما يقوم أى شخص باستغلال شخص آخر بشكل غير ملائم . إن تلك المبادئ من الزاوية الدستورية تحد من قوى السلطات العامة . فهي لا تسمح للسلطات العامة بالسلطة أو بالحق في وضع أو تغيير المعايير الأساسية للمجتمع أو أولوياته . وحيث أن الشريعة هي مصدر السلطة وهي أيضاً المقياس الذي بمقتضاه يتم الحكم بالنسبة لصحة ممارستها فإن السلطات العامة تعد مجرد آلات لوضعها موضع التنفيذ وفرضها .

١٣ - الحق في الملكية :

يوجد في القرآن الكثير من الآيات التي تضع قواعد السلوك الخاص بجانب استخدام ثروة الفرد والإنفاق منها مثلاً ، دفع الزكاة (وهي المساهمة الإلزامية

في التأمين الاجتماعي) ، والصدقة (وهي غير إجبارية ولكنها موصى بها)
وتقديم كفاءة معينة . وأيضاً يشجع الناس على كسب قوتهم بالوسائل المشروعة
وإنفاق أموالهم طبقاً لإرشادات الله :

يقول الله :

١ - « فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . (٦٢ - ١٠)

٢ - « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
إنه لا يحب المسرفين » . (٧ - ٣١)

٣ - « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون » . (٧ . ٣١ - ٣٢)

٤ - « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » . (٥١ - ١٩)
وقد أوضح الله سبحانه - في هذا الشأن - أن التزامات المؤمنين هي
أيضاً واجبات الهيئات الحكومية . وهو يقول :

« الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر » . (٢٢ - ٤١)

وفي حين يدعى المؤمنون وهيئاتهم الحاكمة إلى استخدام أموالهم التي
اكتسبوها بوسائل شرعية طبقاً للأولويات التي حددها الله ، فإن الذين يكتزون
الأموال ينتظرهم عقاب شديد .

يقول الله :

« ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخله .
كلا لينبذن في الحطمة » . (١٠٤ . ٢ - ٥)

ويصف القرآن (قارون) بأنه كان يجسد الثراء البغيض (٢٨ . ٧٦ - ٨٣)
ولقد كانت آثام قارون هي :

١ - التكبر والاستعراض للثروة المفعم بالغرور .

٢ - رفضه استخدام ثروته طبقاً للقواعد الإلهية .

٣ - إدعاؤه بأن لديه حق مطلق في اكتناز ما قد اكتسبه أى أن يستخدمه أو لا يستخدمه طبقاً لمشيئته .

وباختصار ، فإن معالجة القرآن لمسألة الملكية الخاصة من الممكن تلخيصها كما يلي :

إنه من الممكن حيازة الملكية . وإنه من المزم بالنسبة للمؤمنين أن يعملوا بكد وأن يكونوا ثروة ، ويحصلوا على ثمرات عملهم . ولكن واجب كسب القوت يحمل التزاماً أبعد من ذلك وهو كسب القوت بالوسائل الشرعية والأخلاقية . وإن إنفاق جزء من الأموال - المكتسبة بوسائل غير شرعية وآثمة - في سبيل الله لن تمحو جميع آثامهم . ومما له أهمية متساوية أنه لا يجب أن يكتنز الناس ما قد اكتسبوه بطرق مشروعة ، ولكن يجب أن ينفقوه بحرية في النواحي التي أقرها الله . وسوف يكون من اختصاص الهيئات الحاكمة للمؤمنين تنظيم الإنفاق الذي كان المثل الأول عليه هو بيت المال الذي أنشأه النبي محمد ١٢ . وفي الأحوال المعتادة تستطيع الدولة أن تخفف العبء عن الفرد تاركة إياه ليقوم بأداء التزاماته عن طواعية واختيار ومع ذلك : فإنه في حالة وجود طارئ قومي ، كحرب أو ما يماثلها فإن الأمر يكون أن يتحمل كل فرد عبئاً أكبر بكثير مما يتحمله في الأحوال المعتادة .

١٤ - الحق في المكافاة والاجر الملائم :

إن المنزلة التي منحها الله لأبناء آدم ، وقانون الجزاء العادل الذي أقره . للإنسانية بأكملها ، يتطلب أن يحصل الإنسان في كل من هذه الحياة والحياة الآخرة على جزاء عادل عن كل ما يقوم به ، ويجب معاملته بالعدل حتى عند التعرض للمخاطر . يقول الله :

« ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » (٤٦ - ١٩)

٢ - « ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » (٣٩ - ٧٠)

ولذلك فإن السلطات الحاكمة ليس لديها الحق في أخذ شيء من أى شخص بدون أجر وإعطائه لمن تشاء بدون اعتبار للحاجات والسلوك .

١ - القرآن : يحتوى القرآن بالنسبة للمسلمين على كلمة الله كما أوحاها إلى النبي محمد. وسوف نذكر رقم السورة ثم رقم الآية .

٢ - إن سنة النبي محمد تعنى الإرشاد الذى قدمه من خلال أفعاله ، وقراراته ونصحه أو موافقته . وإن السجلات التى تحتوى على ما ذكرناه تسمى (الحديث) ، وتعرف أشهر الأعمال التى تحتوى على ذلك السجل بالكتب الستة التى تسمى باسم المؤلف (١) البخارى ، (٢) مسلم ، (٣) أبو داود ، (٤) الترمذى ، (٥) النسائى ، (٦) مالك . وطبقاً للبعض فإنه كان يجب وضع سنن ابن ماجه بدلاً من « الموطأ » لمالك .

٣ - البخارى : سنن - فصل المناسك .

٤ - الكعبة : هى اسم المسجد المقدس فى مكة ، الذى بناها إبراهيم ، والذى يتوجه إليه كل مسلم فى صلواته . ويطوف المسلمون بالكعبة فى خلال أدائهم للحج .

٥ - ابن ماجه : سنن - الحديث (٣٩٣٢) .

٦ - الشريعة : تعنى القانون الدينى فى الإسلام .

٧ - إن (الزكاة) هى الضريبة التى أمر بها القرآن وأوضح النبي أنه يجب أن يدفعها كل مسلم يدخر أو ينتج ما هو فوق الحد الأدنى .

إن الطبقات المحددة التى تستحق الزكاة هم المحرومون وهؤلاء الذين لا يستطيعون مواجهة مسئولياتهم بسبب عجز دائم أو مؤقت ويمكن إنفاق جزء من الزكاة كتكاليف جباية .

٨ - مالك : (الموطأ) - طبعة عبد الباقى - فصل ٤٧ .

٩ - ابن فارس : (مقاييس اللغة) ، الجزء ٣ ، صفحة ٢٢٦ .

١٠ - البخاري : كتاب الأحكام :

مسلم : كتاب الأمراء .

١١ - التبريزي : مشكاة المصابيح - الجزء ٢ ، صفحة ٣٢٥ الذي يستشهد
بأبي داود ، الترمذي ، أحمد ، النسائي وابن ماجه .

١٢ - إن بيت المال كان هو الخزينة التي أسسها النبي محمد . وفيما مضى كان
المسجد يستعمل لذلك الغرض ، ثم أقيمت فيما بعد مباني منفصلة
كخزائن وسمية .

صياغة إسلامية (٣)

لدالة المصلحة الاجتماعية

نصوص مختارة

تعلق بموقف الإسلام من الاستهلاك

د. محمد انس الزرقا (*)

النصوص المختارة التالية وعددها يتجاوز السبعين مؤلفة من آيات كريمة وأحاديث شريفة وأقوال للفقهاء .

وقد اقتصرنا في الأحاديث على ما بلغ في رأى المرجع الذى نعزو إليه مرتبة الصحيح أو الحسن .

واهم المراجع التى استند اليها بعد القرآن الكريم :

١ - صحيح مسلم : طبعة استانبول (١٣٣٢ هـ) وحين العزو إلى صحيح مسلم اعتمدنا على حواشى تلك الطبعة فى شرح بعض الألفاظ والمعانى .

٢ - الأدب المفرد : للإمام البخارى .

٣ - الكلم الطيب : للإمام ابن تيمية - تحقيق الشيخ ناصر الدين الألبانى مع تخرجه لأحاديثه .

٤ - الجامع الصغير : للإمام السيوطى .

٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير : للإمام المناوى : وقد اعتمدنا رأيه

(*) أستاذ الاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

(في غالب الأحيان) لتحديد درجة أحاديث الجامع الصغير التي أوردناها
كما اعتمدنا شرحه لمعانيها .

٦ - المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني .

٧ - الأدب النبوي : للأستاذ محمد عبد العزيز الجولي رحمه الله وقد استندنا
إليه في فهم بعض الأحاديث من صحيح البخاري ومسلم .

ملاحظة عن الترتيب :

وزعت النصوص مرقمة على عشر زمر تنسجم تقريباً مع تسلسل مناقشتنا
لموضوع الاستهلاك . ولا شك أن أكثر النصوص تمتد دلالتها إلى عدة زمر في
وقت واحد وهذه الزمر هي :

١ - لا تناقض بين الدنيا والآخرة وإباحة الطيبات (النصوص ١ر١ - ١ر٣) .

٢ - ابتغاء الآخرة هو الأساس (النصوص ٢ر١ - ٢ر٢) .

٣ - أوامر الله هي هداية لتحقيق مصلحة الإنسان وليست قيوداً نصحية
بمصلحة الإنسان لتحقيقها (النصوص ٣ر١ - ٣ر٨) .

٤ - الاستهلاك والسعي لأجله منه ما هو فرض أو مباح أو حرام (النصوص
٤ر١ - ٤ر١٦) .

٥ - أولويات الاستهلاك وحدوده (النصوص ٥ر١ - ٥ر١٢) .

٦ - الترف (النصوص ٦ر١ - ٦ر٤) .

٧ - حسن النية والشكر هما مناط الثواب على الاستهلاك (النصوص ٧ر١ -
٧ر٩) .

٨ - تكامل الاستهلاك والاستعمال للأشياء مع العقيدة (النصوص ٨ر١ - ٨ر٦) .

٩ - الاستهلاك مع كفران نعمة الله أو تجاهل الآخرة أو رفض مشاركة المحتاجين
(النصوص ٩ر١ - ٩ر٨) .

١٠ - البخل والزهد المؤذي (النصوص ١٠ر١ - ١٠ر١٠) .

١ - لا تناقض بين الدنيا والآخرة وإباحة الطيبات :

(١١) قال تعالى: « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .
(البقرة ٢/٢٠٠ - ٢٠٢)

(١٢) قال تعالى في سورة إبراهيم: « الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتوه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » .

(٣٤ - ٣٢/١٤)

(١٣) قال تعالى: « والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » .

« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون » .

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » .

(النحل ١٦/٥ - ١٤)

٢ - ابتغاء الآخرة هو الأساس :

(٢ر١) قال تعالى: « وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ؟ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه . كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين » .

(٢٨ / ٦٠ - ٦١)

(٢ر٢) قال تعالى: « وايتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

(٢٨ / ٧٧)

٣ - أوامر الله هي هداية لتحقيق مصلحة الإنسان وليست قيوداً نصحي بمصلحة الإنسان لتحقيقها :

(٣ر١) « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى » .

(٢٠ / ١ - ٢)

(٣ر٢) « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » .

(٢ / ٢١٩)

(٣ر٣) « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات مما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون . يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ »

(٥ / ٨٧ - ٩١)

(٣ر٤) قال تعالى: « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل

لغير الله به والمنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت
وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق . اليوم يثس
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف
للإثم فإن الله غفور رحيم .

« يسألونك ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات » (٥ / ٣ - ٤)

(٣٥) وقال تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل
الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والإثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا
على الله ما لا تعلمون » . (٧ / ٣٢ - ٣٣)

(٣٦) وقال جل وعلا : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه
مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم .. » . (٧ - ١٥٧)

(٣٧) وقال تعالى في سورة محمد : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحامكم .. » (٤٧ - ٢٢)

(٣٨) وقال في سورة الأنفال : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . (٨ - ٢٤)

٤ - الاستهلاك والسعي لأجله منه ما هو فرض أو مباح أو حرام :

(٤١) ذكر الفقيه العلامة ابن عابدين في أول باب الحظر والإباحة
من كتابه (زد المختار) : الأكل والشرب بمقدار ما يدفع الإنسان به الهلاك
عن نفسه ويتمكن به من الصلاة قائماً ومن الصوم فرض يثاب عليه ... ولا يجوز

الرياضة بتقليل الأكل حتى يضعف عن أداء العبادة . والعبارات المشابهة كثيرة في كتب الفقه :

(٤٢) قال تعالى : « ... وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » . (المزمّل ٧٣ ٢٠)

(٤٣) وفي الحديث « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » رواه مسلم ٣ ص ٧٨ ، والمقصود حبس القوت عن الرقيق . ولفظ الجامع الصغير للسيوطي « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » أي من يلزمه قوته . والكلام هو في الموسر القادر على نفقة عياله . أما المعسر العاجز عن إطعام مملوكه فيكلف بيعه أو تركه يسعى ويكتسب قوته .

(٤٤) وفي حديث أبي الدرداء « أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع .. وأنفق من طولك على أهلك .. » الأدب المفرد للبخاري رقم ١٨ . والطول هنا المال .

(٤٥) جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الجهاد . فقال : « أحى والداك ؟ » قال : نعم . فقال : « ففيمهما فجاهد » متفق عليه ، مسلم ج ٨ ص ٣ والمقصود بذل المال وتعب البدن وهما من لوازم الجهاد . (والمفترض أن ذلك في غير حالة الاستنفار العام لكل من يستطيع حمل السلاح) . (٤٦) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « قلت يا رسول الله أوصني بما لي كله ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر ؟ قال : لا ، قلت : الثلث ؟ قال : فالثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم غالة يتكففون الناس ما في أيديهم ، وإنك نمهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك .. » متفق عليه أي أن لها ثواباً مثل ثواب الصدقة .

(٤٧) مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله ، فقال :

« إن كان خرج يسعى على ولده(*) صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » (رقم ٢٦٦١ في الجامع الصغير وصححه) ... قال المناوي أى خرج يسعى على ما يقيم به أود الصغار أو الأبوين ، أو يعف نفسه عن المسألة للناس أو عن أكل الحرام أو عن الوطء الحرام .

(٤٨) قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .
العسر : المشقة (البقرة ٢ : ١٨٥)

والعسرة : تعسر وجود المال . واليسر : السهولة والميسرة .

واليسار : الغنى « مفردات الراغب الأصفهاني » .

(٤٩) من دعاء للنبي صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » (رقم ١٥١٥ في الجامع الصغير . وصححه . قال المناوي : الغنى غنى النفس والاستغناء عن الناس) .

(٤١٠) ومن دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » (رقم ١٥٤٦ في الجامع الصغير) وحسنه . قال المناوي : قلة المال التي يخاف منها قلة الصبر على الإقلال ، وتسلب الشيطان بذكر نعم الأغنياء . أو المراد قلة أعمال الخير أو قلة المدد .

(٤١١) وقال صلى الله عليه وسلم « لا بأس بالغنى لمن اتقى . والصحة لمن اتقى خير من الغنى ، وطيب النفس من النعيم » ، (رقم ٩٧٠٩ في الجامع الصغير) وصححه المناوي . ورواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٣٠١ . وطيب النفس ابتساطها وانشراحها (المصباح المنير) .

(٤١٢) وفي الحديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رقم ٢٩٩ في الأدب المفرد للبخاري .

(٤١٣) وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(*) ولده بضم الواو ، وسكون اللام ، جمع (ولد) بفتح الواو ، واللام

دعا له بكل خير : كان في آخر دعائه أن قال : اللهم أكثر ماله وولده
وبارك له « رقم ٨٨ في الأدب المفرد للبخارى .

(٤١٤) وروى البخارى ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
« ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

(٤١٥) وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله في شرح لفظ (غنى) :
الغنى يقال على ضروب : أحدها عدم الحاجات وليس ذلك إلا لله تعالى :
والثاني قلة الحاجات وذلك المذكور في قوله عليه السلام الغنى غنى النفس .
والثالث كثرة : القنيات .

(٤١٦) وقال عليه الصلاة والسلام « من ستادة المرء المسكن الواسع
والجار الصالح والمركب الهنيء » رقم ٤٥٧ في الأدب المفرد للبخارى .

هـ - أولويات الاستهلاك وحدوده :

(١٥) عن جابر قال : اعتق رجل .. عبداً له عن دبر « أى قال
أنت حر يوم أموت » فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألك مال
غيره فقال : لا ، (فباعه رسول الله بثمانمائة درهم فدفعتها للرجل) ثم قال :
أبدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلاهلك ، فإن فضل عن أهلك
شيء فلذى قرابتك ، فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول
فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك (رواه مسلم ج ٣ / ص ٧٨) وعبرة
فهكذا وهكذا في الحديث كناية عن تكثير الصدقة وتنويع جهاتها ، قال
النووي وفيه إشعار بأن الحقوق إذا تراخمت يقدم الأوكد فالأوكد .

(٥٢) وقال جل شأنه في سورة الحج « والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها
فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك نخرناها لكم لعلكم تشكرون .
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك نخرها لكم
لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » . (٣٦ / ٢٢ - ٣٧)

(٥٣هـ) عن أبي ذر رضى الله عنه قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وحده .. فالتفت فرآني فقال من هذا ؟ .. فقلت : أبو ذر جعلني الله فداءك .. فمشيت معه ساعة فقال (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من أعطاه الله خيراً فنفع فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً) رواه مسلم ج ٣ ص ٧٨ . فنفع فيه يمينه .. أى ضرب يديه فيه بالعطاء .. والمراد بالجهات جميع وجوه البر والخيرات .

(٥٤هـ) عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا ابن آدم إنك أن تبدل الفضل خيراً لك وأن تمسكه شراً لك . ولا تلام على كفاف وأبدأ بمن تعول . واليد العليا خير من اليد السفلى) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٤ . قال النووي إن بذلت الأفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه .. ولا تلام على كفاف معناه : إن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه .

(٥٥هـ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) رواه مسلم ج ٣ ص ١٠٢ . قوله عليه السلام كفافاً أى ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات ، فالكفاف يفتح الكاف من الكف بمعنى المنع لا من الكفاية ، وقنعه الله . فلم تطمح نفسه لطلب ما زاد على ذلك .

(٥٦هـ) قال تعالى : « يا بني آدم خلدوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين » . (٣١ / ٧)

(٥٧هـ) وقال « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » . (٢٥ / ٦٧)

(٥٨هـ) وقال في سورة الإسراء « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً » إلى قوله « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

(١٧ / ٢٦ - ٢٩)

(٥٩) وروى البخارى فى الأدب المفرد رقم (٤٤٤) عن عبد الله
إن المبذرين هم الذين ينفقون فى غير حق ، وفى مفردات الراغب الأصفهاني
إن المبذر هو المضيع لماله .

(٥١٠) وقال الراغب الأصفهاني فى مفرداته فى شرح مادة (سرف)
السرف : تجاوز الحد فى كل فعل يفعله الإنسان . وإن كان ذلك فى الإنفاق
أشهر .. ويقال تارة اعتباراً بالقدر وتارة اعتباراً بالكيفية . ولهذا قال سفيان :
ما أنفقت فى غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً .

(٥١١) وقال تعالى فى سورة الحشر : « والذين تنبأوا بالدار والآخر
من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ،
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون »
٥٩ / (٩)

(٥١٢) وقال جل وعلا فى سورة الإنسان : « ويطعمون الطعام على حبه
مستكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً »
٧٦ (٨ - ٩)

٦ - الترف :

(٦١) قال تعالى فى سورة الواقعة : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
فى سموم وحميم وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك
مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أثداً متنا وكنا
تراياً وعظاماً أثنا لمبعوثون » .
(٥٦ / ٤١ - ٤٥)

(٦٢) وقال جل شأنه فى سورة سبأ : « وما أرسلنا فى قرية من نذير
إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً
وما نحن بمعذبين . قل إن ربي ينسط الرزق لمن يشاء ويقدر . ولكن أكثر الناس
لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن
وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » .
(٣٤ / ٣٤ - ٣٧)

(٦ر٣) وفي مفردات الراغب الأصفهاني : الترفعة التوسع في النعمة .
يقال أترف فلان فهو مترف (بالبناء للمجهول وصيغة المفعول) ٥

والنعمة : الحالة الحسنة . والنعم : النعمة الكثيرة .

وتنعم : تناول ما فيه النعمة وطيب العيش .

ونعمه تنعماً : جعله في نعمة أي لين عيش وخصب .

(٦ر٤) وقال تعالى : « فلولاً كان من القرون من قبلكم أولوا بقية
ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا
ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » . (هود ١١ / ١١٦)

٧ - حسن النية والشكر هما مناط الثواب على الاستهلاك : ٥

(٧ر١) قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما
ماوى » : (متفق عليه)

(٧ر٢) وفي الحديث (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها
كانت له صدقة) رواه مسلم ج ٣ ص ٨١ ، يحتسبها أي يطلب بها الثواب من
الله ، فيثاب عليها كما يثاب على الصدقة . قال ابن مالك : يفهم من قوله :
وهو يحتسبها أن من غفل عن نية القربة (التقرب إلى الله) لا تكون نفقته صدقة .

(٧ر٣) وفي الحديث أيضاً « إن للطاعم الشاكر من الأجر مثلما للصائم
الصابر » : رقم ٢٣٨٦ في الجامع الصغير وصححه

(٧ر٤) وقال تعالى في سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » (٢ : ١٧٢) .

(٧ر٥) ويقول الفقهاء إن النية تحول العادة إلى عبادة (انظر « مفهوم
العبادة وآفاقها في الإسلام » للأستاذ مصطفى الزرقاء) ٥

(٧ر٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله
مألاً وعِلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهو بأفضل
ال منازل . وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن
لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالا

ولم يرزقه علماً يحيط في ماله بغير علم ولا يثني فيه ربه ولا يفضل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء . رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (في الترغيب والترهيب الحديث رقم ٢٠) .

(٧٧) عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقية ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » . رواه مسلم ج ٣ ص ٧٨ . قوله في رقية أى في إعتاقها وإنما كان أعظمها أجراً الذي أنفقته على عياله قيل لأنه فرض وقيل لأنه صدقة وصلة رحم وفي حديث مشابه في اللفظ والمعنى ، يعلق أحد رواته أبو قلابه بقوله : « وأى رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم » .

(٧٨) وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة » رقم ٧٨٢٤ في الجامع الصغير عن أحمد وحسنه .

(٧٩) وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : « يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا في التراب » رقم ٩٩٩٠ في الجامع الصغير . وصححه المناوى وفسره : أى في نفقته في البنيان الذي لم يقصد به وجه الله وقد زاد عما يحتاجه لنفسه وعياله على الوجه اللائق ، فإنه ليس له فيه أجر بل ربما كان عليه وزر .

٨ - تكامل الاستهلاك والاستعمال للأشياء مع العقيدة :

(٨١) قال تعالى : « والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون » . (٤٣/ ١٢ - ١٤)

(٨٢) وقال في سورة الكهف في قصة الرجلين : ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. » (١٨ : ٣٩)

(٨٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها . » (رواه مسلم)

(٨٤) وقال أيضاً « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذى وغيره حسن . وورد برقم ١٨٧ في الكلم الطيب وحسنه الألبانى .

(٨٦) وعن أبى هريرة رضى الله عنه : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا ، ثم يعطيه اصغر من يحضر من الولدان . (رواه مسلم)

٩ - الاستهلاك مع كفران نعمة الله أو تجاهل الآخرة أو رفض مشاركة المحتاجين :

(٩١) قال تعالى : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله مزيع الحساب . » (البقرة ٢ : ٢٠٠ - ٢٠٢ وقد أوردناه آنفاً برقم ١ ر)

(٩٢) وقال في سورة الإسراء « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . » (١٨٧ - ١٩) (٩٣) وقال في سورة هود « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ، وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير . » (١١ : ٣)

(٩٤ر) وقال في سورة الفرقان : « قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من ذنوبك من أولياء ولكن نمتعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً » . (١٨ : ٢٥)

(٩٥ر) وقال في سورة محمد : « إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » . (١٢ : ٤٧)

(٩٦ر) وقال في سورة يس : « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » . (٤٧ : ٣٦)

(٩٧ر) وقال في سورة البلد : « يقول أهلك ما لا لبدا . أحسب أن لم يره أحد » .. إلى قوله « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة : فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة .. » (٩٠ / ٦ - ١٦)

(٩٨ر) وقال تبارك وتعالى في سورة الماعون : « أرايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين .. » إلى آخر السورة . (١٠٧ / ١ - ٢٧)

١٠ - البخل والزهد المؤدى :

(١٠١ر) قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك .. » الإسراء . وقد سبق إيرادها بكاملها مع قوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » .

(١٠٢ر) وقال جل وعلا في سورة الطلاق : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . سيجعل الله بعد عسر يسراً » : (٦٥ - ٧)

(١٠ر٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره .. » (متفق عليه)

(١٠ر٤) وقال عليه السلام « وأى داء أذوأ من البخل »

« رقم ٩٦١٢ في الجامع الصغير وصححه »

(١٠ر٥) وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات » . وانظر شرحاً ممتازاً له في الأدب النبوي للحولي ص ٢٥١ - ٢٥٤ .

(١٠ر٦) وقال تعالى في سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » .

(٥ / ٨٧ - ٨٨ وقد أوردناها آنفاً برقم ٣ر٣)

(١٠ر٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلك المتنطعون ، قالها ثلاثاً » . رواه مسلم . والمتنطعون هم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد .

(١٠ر٨) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لأرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . رقم ٢٥٠٩ في الجامع الصغير نقلاً عن مسند أحمد . والمنبت : المبالغ في العبادة المهمل للضروريات إلى حد يؤدي إلى الانقطاع كالذي يجهد راحلته في السفر حتى تموت .

(١٠ر٩) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله

وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .
زواه مسلم . مشروح شرحاً ممتازاً في الأدب النبوي للتحولى ص ٢٤٧ - ٢٥١ .
(١٠ ، ١٠) قال سلمان : « .. إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك
حقاً ولأهلك عليك حقاً فاعط كل ذى حق حقه » .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق سلمان » .
(زواه البخارى) .

مراجع عربية

- ابن تيمية : الكلم الطيب تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني مع تخريج أحاديثه (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٣٨٥ هـ) .
- ابن الجوزي : صيد الخاطر ، تحقيق الأستاذ ناجي الطنطاوي ومراجعة الأستاذ علي الطنطاوي (دمشق ، دار الفكر ١٩٦٠) في ثلاثة أجزاء .
- ابن عابدين : (العلامة الفقيه) رد المختار .
- أبو زهرة محمد : مالك (إمام المذهب) ، (مصر مطبعة الاعتماد ١٣٦٥ هـ) .
- الراغب الأصفهاني : الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ، المفردات في غريب القرآن . تحقيق محمد الزهري الغراوي (القاهرة : المطبعة الميمنية لمصطفى الباي الحلبي ١٣٢٤ هـ) .
- البخاري ، الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل : الأدب المفرد . حقق نصوصه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٧٥ هـ) .
- الدواليبي ، الدكتور محمد معروف : المدخل إلى علم أصول الفقه . (دمشق : مطبعة الجامعة السورية ، طبعة ثانية ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) .
- خلاف ، عبد الوهاب : أصول الفقه (مصر : طبعة النصر ، طبعة ثانية ١٣٦١ هـ) .
- الحولي ، محمد عبد العزيز : الأدب النبوي « القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد . الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) .
- الزرقاني ، مصطفى أحمد : المدخل الفقهي العام . ثلاثة أجزاء (دمشق : مطبعة الحياة ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م) .
- الشاطبي ، الإمام أبو إسحاق إبراهيم المتوفى (٧٩٠ هـ) الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق مع تعليقات الشيخ عبد الله دراز (مصر : المكتبة التجارية الكبرى ، أربعة أجزاء) .
- الصدر ، محمد باقر : اقتصادنا (بيروت : دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م)

الصدر ، محمد الباقر : الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية (النجف الأشرف
العراق ، مطبعة النعمان ١٣٨٨ هـ) .

الغزالي ، الإمام أبو حامد : المستصفى من علم الأصول ، (مصر : المكتبة
التجارية الكبرى ، جزآن ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) .

المبارك ، محمد : نظام الإسلام ، الاقتصاد ، مبادئ وقواعد عامة (بيروت
دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) .

محمود ، الدكتور مصطفى : حديث على التلفزيون الأردني في تفسير بعض
سورة الفاتحة (عمان : ٢٤ / ١٢ / ١٩٧٤ م) .

مسلم ، (الإمام) : صحيح مسلم (استنبول ١٣٣٢ هـ) .

المنأوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير (الطبعة الأولى ، المكتبة التجارية
الكبرى مصر ، ١٩٣٨ م) .

التجار ، الدكتور أحمد : المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي
(بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .

موقف الفكر الإسلامى من ظاهرة تآخير قيمة النقود

د . شوقى اسماعيل شحاتة (*)

المبحث الأول قيمة النقود

القيمة الداخلية للنقود :

كانت النقود فى العصر الأول للإسلام هى الدينار والدرهم ، وقدرت قيمة الدينار على أساس أنه يساوى عشرين قيراطاً من الذهب الخالص ، والقيراط خمس شعيرات ، أى أن الدينار كان يساوى مائة حبة شعير من الذهب الخالص . أما الدراهم فكانت مختلفة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فبعضها كان عشرين قيراطاً من الفضة الخالصة (مثل الدينار) ، وبعضها كان اثنى عشر قيراطاً (ثلاثة أخماس الدينار) وبعضها كان عشرة قيراط (نصف الدينار) فوقع التنازع فى الإيفاء والاستيفاء فى زمن عمر رضى الله عنه ، فأخذ من كل نوع من الأنواع الثلاثة درهماً واخلطهم وقسمهم إلى ثلاثة دراهم متساوية فمخرج كل درهم أربعة عشر قيراطاً : وبقي العمل عليه فى كل شىء (١) أى أن الدرهم كان يساوى

(*) أستاذ النظم المحاسبية فى الإسلام بجامعة الملك عبد العزيز بمكة

(١) يراجع فى هذا : ابن نجيم ، البحر الرائق ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

سبعة أعشار الدينار، مع ملاحظة أن الذهب والفضة لم تختلف قوتيهما الشرائية في ذلك الوقت (١) :

ثم ظهرت في العصور التالية أنواع أخرى من النقود ، كان منها النقود المغشوشة أى التى خلط فيها الذهب أو الفضة بغيرهما من المعادن ، والنقود الناقصة الوزن . وحاصل مذهب مالك في هذه النقود : إنها إن راجت رواج الكاملة ، بحيث لا يخطئها الغش أو النقص عن قيمة الكاملة ، ولا عن إطلاق اسم الدراهم والدنانير عليها فهى فى حكم الخالصة الكاملة ، وإن لم ترج رواج الكاملة ، حسب فى المغشوش خالصة على تقدير التصفية — واعتبر فى النقص التكميل ، فإذا كانت العشرون بنقصها إنما تروج رواج تسعة عشر تكون قيمتها تسعة عشر ، ويغفر اليسير . وحاصل مذهب الأحناف فيها : إنه إذا كان الغالب عليها الفضة فهى فى حكم الفضة ، وإلا فهى سلعة ، وخذ الغلبة أن يزيد على النصف (٢) .

ثم ظهر نوع آخر من النقود ، وهو الفلوس ، ويقصد بها تلك العملة المتخذة من المعادن غير الذهب أو الفضة ، ويلحق بها النقود الورقية ، وخلاصة رأى الفقهاء فيها : إنها إن راجت رواج الأثمان فهى ثمن ، وإلا فهى سلعة (٣) .

ومما تقدم يتضح أن قيمة الدينار والدرهم معتبرة بما يساويانه وزناً من الذهب والفضة ، كما يتضح أيضاً أن قيمة الأنواع الأخرى كانت تتحدد على أساس الرواج ، أى قبول الناس لها ، وتواضعهم على تحديد قيمتها (مع ملاحظة خلاف الأحناف فى النقود المغشوشة والناقصة) ، ومعنى هذا

(١) يراجع فى هذا :

أ - شوق إسماعيل شحاته (دكتور) محاسبة زكاة المال علماء و عملا ، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ صفحة ١٩٣ .

ب - إبراهيم فؤاد أحمد على (دكتور) ٥ مرجع سابق ، هامش ص ٤٣ .

ج - يوسف القرضاوى (دكتور) ، مرجع سابق ، ج ١ ، هامش ص ٢٦٤ .

(٢) محمد حسنين مخلوف ، مرجع سابق ، ص ١٦ وما بعدها .

(٣) ابن عابدين ، رد المختار ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ص ٤٣ .

أعبارة أخرى — أن قيمة هذه النقود تحدد على أساس نسبة التبادل بينها وبين السلع الأخرى ، فإذا كانت العشرون درهما المغشوشة أو الناقصة تروج رواج تسعة عشر فقط كانت قيمتها تسعة عشر . ولكن هناك من الفقهاء من يرى : أن النقود الورقية (ومثلها الفلوس) لا يكون لها ذلك الأثر الذى للنقود الأصلية (الدينار والدرهم) إلا باعتبار ما تعادله من النقد الخالص (١) أى الذهب والفضة ، وهذا يعنى أن قيمة النقود المقيدة تحدد على أساس نسبة التعادل بينها وبين الذهب أو الفضة . وجدير بالذكر — هنا — أن الدينار بعد أن كان مساوياً لعشرة دراهم فى العهد الأول ، صار فى النصف الثانى من العهد الأموى يساوى اثنى عشر درهما ، وفى العصر العباسى صار يساوى خمسة عشر أو أكثر (٢) . أى أن القوة الشرائية للذهب والفضة قد اختلفت على مر العصور ، فتناقصت القوة الشرائية للفضة ، ومن ثم لا تصلح معياراً تقاس به قيمة غيرها من النقود ، وإنما « يجب الاقتصار على معيار الذهب فقط لتمييزه بدرجة ملحوظة من الثبات (٣) » .

وأياً ما كان الأمر فإنه يمكن القول : بأن القيمة الداخلية للنقود — فى الفكر الإسلامى — تحدد — إما على أساس نسبة التعادل بينها وبين الذهب ، وإما على أساس رواجها ، أى نسبة التبادل بينها وبين السلع الأخرى .

القيمة الخارجية للنقود :

« ذكر القدورى فى شرحه : إذا استقرض دراهم بخارية ، والتقى (المدين والدائن) فى بلدة لا يقدر فيها على البخارية ، فإن كان (النقد البخارى) ينفق (أى يروج) فى ذلك البلد فإن شاء صاحب الحق أجله

(١) محمد حسنين مخلوف ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٢) يوسف القرضاوى (دكتور) ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، هامش ص ٢٦٤ .

(٣) يراجع فى هذا :

أ — مجمع البحوث الإسلامية المؤتمر الثانى ، الدار القومية للطباعة والنشر سنة

١٩٦٥ م (القرار رقم ٢ ص ٤٠٢) .

ب — إبراهيم فؤاد أحمد على (دكتور) ، مرجع سابق ، ص ٣٩٨ وما بعدها .

قدر المسافة ذاهباً وجائياً . وإن كان لا يتفق فيها وجبت القيمة . والدراهم البخارية فلوس ، فلذا أوجب القيمة ^(١) .. ولا شك أن القيمة مقصود بها قيمة الفلوس البخارية إما من الذهب ، وإما من نقود البلد الآخر أى سعر الصرف لعملات البلاد المختلفة ، والنسبة الأخيرة هي الراجحة ، ولا سيما إذا ما كانت هناك قيود على التعامل بالذهب ، أو الخروج به خارج البلاد .

على أن الفكر الإسلامى يراعى فى تحديد القيمة الخارجية للنقود مكان العقد وزمانه ، فكما يذكر ابن عابدين : لو ابتاع عيناً من رجل بأصفهان بكذا من الدينار فلم ينقد الثمن حتى وجد المشتري ببخارى يجب عليه الثمن بعملة أصفهان فيعتبر مكان العقد ، وتظهر ثمرة ذلك إذا كانت مالية (قيمة) الدينار مختلفة فى البلدين ، وتوافقاً على أخذ قيمة الدينار لفقده أو كساده فى البلدة الأخرى ، فليس للبائع أن يلزمه بأخذ قيمته التى فى بخارى إذا كانت أكثر من قيمته التى فى أصفهان ، وكما يعتبر مكان العقد ، يعتبر زمانه أيضاً ، كما سيتضح هذا من مناقشة مسألة غلاء النقود ورخصها فيما بعد .

(١) ابن عابدين ، المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٥ .

نتائج البحث الأول

أولاً : لم تقتصر النقود المتداولة على مبر العصور — في البلاد الإسلامية — على نوع واحد فقط ، وإنما كان منها النقود المطلقة ، وهي الدينار والدراهم ، والنقود المقيدة ، وهي الدينار والدراهم المغشوشة ، أو الناقصة الوزن ، وكذلك الفلوس والنقود الورقية .

ثانياً : تحدد قيمة النقود المطلقة على أساس الوزن من الذهب والفضة ، مع ملاحظة أن الفضة قد انخفضت قوتها الشرائية فيما بعد العهد الأول للإسلام مما يجعلها لا تصلح معياراً لتحديد قيمة غيرها من النقود .

ثالثاً : تحدد القيمة الداخلية للنقود المقيدة ، إما على أساس نسبة تعادلها مع الذهب ، وإما على أساس رواجها أى نسبة تبادلها بالسلع الأخرى .

رابعاً : تحدد القيمة الخارجية للنقود المقيدة إما على أساس نسبتها مع الذهب أو على أساس نسبتها مع عملات الدول الأخرى ، أى سعر الصرف لل عملات المختلفة ، على أن يراعى مكان العقد وزمانه عند تحديد هذه القيمة .

خامساً : يتحصل مما تقدم أن قيمة النقود المقيدة — بصفة عامة — يمكن أن تحدد من ثلاث جهات : إما على أساس نسبة التعادل بينها وبين الذهب ، وإما على أساس الرواج ، وإما على أساس تعادلها بالعملات الأجنبية .

المبحث الثاني

آراء الفقهاء في تغير قيمة النقود

ما زال الغلاء والرخاء يتعاقبان في عالم الكون منذ بدأ الله الخليفة ، في سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار (١) ، حتى كانت الحرب العالمية الثانية فنزعت الأسعار إلى الارتفاع ، ولا يرجى عودتها إلى ما كانت عليه قبلها . وقد أثار الفقهاء مسألة استيفاء الدينار بدلا من الدراهم أو العكس ، وما إذا كان هذا يجوز ، أم لا ، وما إذا كان هذا الاستيفاء - عند من أجازوه - يتم على أساس القيمة أم على أساس العدد ، كما أثاروا مسألة غلاء ورخص الفلوس وما إذا كان استيفاؤها يتم على أساس العدد أو على أساس القيمة . وعلى ذلك فموضوع هذا المبحث سيناقش كما يلي :

أولا - استيفاء الدراهم بدلا من الدينار أو العكس :

ثانيا - غلاء ورخص الفلوس :

استيفاء الدراهم بدلا من الدينار أو العكس

يقول ابن حزم : « ومن كان له عند آخر دنائير أو دراهم أو قمح أو شعير أو ملح أو تمر أو غير ذلك مما لا يقع فيه الربا ، أى شيء كان ، لا تحاش (لا تستثن) شيئا ، إما من بيع وإما من قرض أو من سلم أو من أى وجه كان ذلك له عنده ، حالا كان أو غير حال ، فلا يحل له أن يأخذ منه شيئا من غير ماله عنده أصلا . فإن أخذ دنائير عن دراهم أو دراهم عن دنائير أو شعير عن بر ، أو دراهم عن عرض ، أو نوعا ما عن نوع آخر ، لا تحاش شيئا ، فهو فيما يقع فيه الربا ربا محض ، وفيما لا يقع فيه الربا حرام بحت . برهان ذلك (ما روى) من تحريم النبي صلى الله عليه وسلم الذهب والفضة والبر والتمر والشعير والملح إلا مثلا بمثل عينا بعين ، ثم قال عليه السلام « فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » . والعمل

(١) المقرئى ، رسالة المقرئى في الغلاء ، مخطوط بمكتبة الأزهر ، ص ٣٠ .

الذى وصفنا ليس يبدأ بيد بل أحدهما غائب ، ولعله لم يخرج من معدته بعد ،
فهو حرام بنص كلامه عليه السلام (١) .

وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد والشافعي في الجديد إلى جواز أخذ
الذهب من الورق (٢) واحتجوا في ذلك بما يلي :

١ - روى سعيد بن جبير عن ابن عمر قال : قلت يا رسول الله أبيع الإبل
بالدنانير وأخذ الدراهم ، وأبيع بالدراهم وأخذ الدنانير ، وأخذ هذه
من هذه ؟ . . فقال : لا بأس أن تأخذها بسعر يومها .

٢ - روى عن سعيد مولى الحسن قال : أتيت ابن عمر أتقاضاه ، فقال لي :
إذا خرج خازننا أعطيناك فلما خرج بعثه معي إلى السوق ، وقال :
إذا قامت على ثمن فإن شاء أخذها بقيمتها أخذها .

٣ - روى عبد الله البهي عن يسار بن نمير قال : كان لي على رجل دراهم
فعرض على دنانير فقلت : لا تأخذها حتى أسأل عمر ، فسأله فقال :
أئت بها الصيارفة فاعرضها ، فإذا قامت على سعر ، فإن شئت فخذها ،
وإن شئت فخذ مثل دراهمك .

وقد صحت إباحة ذلك عن الحسن البصري ، والحكم وحماد وسعيد
ابن جبير باختلاف عنه ، وطاووس والزهرى وقتادة والقاسم بن محمد ،
واختلف فيه عن إبراهيم وعطاء .

(١) ابن حزم ، المحلى بالآثار ، مرجع سابق ، الجزء الثامن ، ص ٥٨٤ .

(٢) يراجع في هذا :

أ - ابن حزم ، المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٥٨٥ وما بعدها .

ب - مجمع البحوث الإسلامية ، تقنين الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك ،
الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٧٢ ، المادة ٦٦ ص ١٢٣ .

ج - مجمع البحوث الإسلامية ، تقنين الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام ابن حنبل ،
الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٧٢ ، المادة ١٢٧ ص ١٩٧ .

د - مجمع البحوث الإسلامية ، تقنين الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام الشافعي ،
الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٧٢ ، المادة ٨٩ ص ٢٥١ .

ومما سبق يتضح أن هناك رأيين فيما يتعلق باستيفاء الدراهم بدلا من الدنانير ، وأن الإجماع يكاد ينعقد على جواز ذلك . ومما يؤيد الجواز بالإضافة إلى الأحاديث والآثار التي سبق ذكرها ، ما ورد في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاذ باليمن من أن على كل حالم (بالغ) ديناراً أو عدله (قيمته) من المعافر ثياب يمنية (١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم . فقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الثياب بدلا من الدنانير . وقد كتب عليه الصلاة والسلام إلى أهل نجران (إن عليهم ألفي حلة كل عام أو عدلها من الأواق يعني الدراهم) وهنا أجاز عليه السلام العكس وكان عمر رضي الله عنه يأخذ الإبل من الجزية وإنما أصلها الذهب والورق ، وأخذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الإبر والحبال والمسال (جمع مسلة) من الجزية (٢) .

الرد على من منع ذلك :

يمكن القول بأن ما استدل به ابن حزم على عدم جواز استيفاء الدراهم بدلا من الدنانير أو العكس ، وعدم جواز استيفاء الأنواع المثلية بدلا من بعضها ، إنما هو وارد في البيع ابتداء وليس في الاستيفاء . فالممنوع شرعاً هو بيع المثليات بأجناسها متفاضلة ، أو بالأجل لما فيه من الربا ، أما الاستيفاء فلاسقاط للدين . « ولا ربا في دين سقط ، وإنما الربا في دين يقع الخطر في عاقبته » (٣) . وإن كان هذا الاستيفاء من قبيل الصلح ، فالصلح يكون بيعاً إذا كان البديل خلاف جنس المدعى به ، فلو على جنسه ، فإن كان بأقل منه فهو حط وإبراء ، وإن كان بمثله فاستيفاء وقضاء ، وإن كان بأكثر منه فهو فضل وربا (٤) . والدراهم والدنانير جنسان في البيع ، فلا بد من التقابض فيها في مجلس العقد (٥) . وإن كان هذا الاستيفاء من قبيل القضاء به ، فالدراهم والدنانير جنس واحد في القضاء بإيفاء الدين (٦) .

(١) يوسف القرضاوى (دكتور) ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٢٤ .

(٢) يوسف القرضاوى (دكتور) ، المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) ابن عابدين ، رد المختار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٤) ابن عابدين ، رد المختار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣١٢ .

(٥) الحصكفي ، الدر المختار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٦ .

(٦) الحصكفي ، البدع المختار ، المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ١٥٩ .

هل يتم الاستيفاء عددا ام قيمة ؟

يرى الإمام مالك رضى الله عنه أن يتم الاستيفاء بالعدد ، أى بصرف محدود ، وذلك بأن ينزل الدينار بعشرة دراهم على ما كانت عليه قديماً (١) ؛ أما مذهب الأحناف فالذى يتضح من كلام ابن عابدين أن الثمن إذا كان معيناً كالريال الأفرنجي والذهب العتيق فلا يجب إلا عدده غلا أو رخص ، أما إذا لم يكن الثمن معيناً ، وكانت هناك أنواع من النقود الذهبية أو الفضية رائجة في السوق ولكنها مختلفة في القيمة ، فالواجب هو القيمة (قيمة الثمن) من أى نوع وقت العقد ، والخيار فيه للدافع (٢) ويعلق على ذلك بقوله : « الأول ظاهر سواء كان بيعاً أو قرضاً ، أما الثانى فقد حصل بسببه ضرر ظاهر للبائعين) لتفاوت قيم الأنواع المختلفة مما يترتب عليه أن يدفع المشتري الأقل في القيمة (وهذا مما لا شك في عدم جوازه » . وقد تكلم ابن عابدين - كما يذكر - مع شيخه فأفتى بالصلح بين البائع والمشتري على أساس دفع الوسط من النقود الذهبية أو الفضية المختلفة القيمة (٣) . فالخاصل أن الدراهم الجالصة أو المعلومة الغش والدنانير يجب على المشتري مثلها وهو ما وقع عليه العقد في الكساد والانقطاع والرخص والغلاء لأنها ثمن بأصل الحلقة لا يلحقها الكساد أو الرخص والغلاء (٤) ولكن الشارع (٥) يذكر أنه « مما يكثر وقوعه ما لو اشترى بقطع رائجة (دراهم خالصة أو معلومة الغش) فكسدت بضرب جديد يجب قيمتها يوم البيع من الذهب لا غير (٦) » لأنه لا يمكن الحكم

(١) ابن رشد الحفيد ، بداية المجتهد ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٣ .

(٢) ابن عابدين ، مجموعة رسائله ، (رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود) مطبعة

مجلس المعارف بولاية سوريا سنة ١٣٠١ هـ .

(٣) يراجع في هذا : رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود ، لابن عابدين .

(٤) ابن عابدين ، رد المختار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٣ .

(٥) الحصكفي ، الدر المختار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٢ .

(٦) لا يختلف الحكم في الكساد ، والانقطاع ، والرخص والغلاء ، والكساد ، أن

ترك المعاملة بها في جميع البلاد . وحد الانقطاع أن لا توجد في السوق ، وإن وجدت في يد الصيارفة .

٢ : (يراجع في هذا : رد المختار لابن عابدين ، الجزء الرابع ص ٣٢) .

بمثلها لكساده ، ولا بقيمتها من الفضة لأن ذلك ربا ، إذ لا عبرة بالجودة عند المقابلة بنفس الجنس ، ومن ثم يجب قيمتها من الذهب .

وخلاصة مذهب الأحناف في ذلك : أن هناك رأيين فيما يتعلق بأساس الاستيفاء :

الرأى الأول - يتم الاستيفاء بالعدد :

وهذا ما جرى عليه ابن عابدين في جميع مصنفاته ، لأن النقود الذهبية والفضية الخالصة أو المعلومة الغش نقود بالحلقة ، ولا عبرة برخصها أو غلاؤها أو كساده .

الرأى الثانى - يتم استيفاء الدراهم بقيمتها ذهباً :

وهذا ما جرى عليه مؤلف الدر المختار ، وتأييده الأحاديث والآثار التي وردت في هذا الصدد والتي سبق ذكرها ، كما يؤيده ما سبق ذكره أيضاً من أن الدينار بعد أن كان مساوياً لعشرة دراهم في العهد الأول للإسلام صار يساوى أكثر من هذا في العصور المتتالية . ويؤيده أيضاً ما رواه أبو داود من « أن الدية كانت في العهد النبوى ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم (قيمة مائة من الإبل) ، فلما كان عهد عمر خطب فقال : إن الإبل قد غلت . فقومها على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم » (١) .

ويختار الباحث هذا الرأى للأحاديث والآثار التي وردت في هذا الشأن . ولكن يلاحظ على هذا الرأى أنه يحدد القيمة في تاريخ التعاقد أى يوم البيع أو يوم تمام القرض بيد أن ظاهر الأحاديث السابقة يعتبر أن القيمة تحدد يوم الاستيفاء . ومع هذا فإنى أؤيد الرأى الذى ينظر إلى قيمة النقد الحاضر ، ولا ينظر إلى قيمة ما كان وقت العقد أصلاً . إذ أن قيمة النقد الذى كان وقت العقد تكون قد تلاشت من الأذهان .

(١) يراجع في هذا : يوسف القرضاوى (دكتور) مرجع سابق ، ج ١ ، هامش ص ٢٦٥

غلاء ورخص الفلوس

الفلوس — كما تقدم — هي نوع من النقود تتخذ من المعادن غير الذهب والفضة . وتتخذ ثمنيتها بالإصطلاح والمواضعة ، ويلحق بحكمها النقود الناقصة الوزن والغالبة الغش ، والنقود الورقية . ولا خلاف بين الفقهاء حول عدم فساد العقد . إذا ما تغيرت قيمتها لقيام الاصطلاح على ثمنيتها وإنما الخلاف بينهم فيما يجب دفعه ، هل عدد ما وقع عليه العهد أم قيمته ؟ ومن استقراء آراء الذين تعرضوا لهذه المسألة يتبين أن هناك رأيين فيها (١) :

الرأى الأول — يجب مثل ما وقع عليه العقد عددا :

وهذا هو رأى الإمام أبى حنيفة (٢) وجرى عليه فى جامع المضممرات والمشكلات ، حيث قال : اشترى بدراهم نقد البلد فلم يقبض حتى تغيرت ، فإن كانت لا تروج اليوم فى السوق فسد البيع ، لأنه هلك الثمن ، وإن كانت تروج لكن انتقصت قيمتها لم يفسد البيع وليس له إلا ذلك (٣) . كما جرى عليه فى مجمع الأنهر ، حيث قال : « ولو اشترى به أى بالذى غلب غشه ، وهو نافق فنقصت قيمته قبل القبض ، فالبيع على حاله بالإجماع ، ولا يتخير البائع ، وعكسه لو غلت قيمتها وازدادت فكذلك البيع على حاله ولا يتخير المشتري (٤) » . . كذلك جرى عليه فى الفتاوى الحامدية ، حيث أجاب عن سؤال بقوله : « إذا غلت الفلوس التى وقع عقد الإجارة عليها ، أو رخصت فعليه رد مثل ما وقع عليه عقد الإجارة من الفلوس » كما سئل فيما إذا استدان زيد من عمرو مبلغاً من المصارى المعلومة العيار على سبيل القرض ثم رخصت

(١) شوقى إسماعيل شعاته (دكتور) المبادئ الإسلامية فى نظريات التقييم فى المحاسبة ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) يراجع فى هذا : الرسالة الثامنة من مجموعة رسائل ابن عابدين المسماه (تنبيه الرقود هل مسائل النقود) .

(٣) يوسف بن عمر بن يوسف الكادورى ، جامع المضممرات والمشكلات ، مخطوط ١١٩٤ هـ بمكتبة الأزهر ، ورقة رقم ١٤٨ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن سليمان ، مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٢ .

المصارى ولم ينقطع مثلها ، وقد تصرف زيد بمصارى القرض ، ويريد رد مثلها ، فهل له ذلك ؟ الجواب : الديون تقضى بأمثالها (١) . وفي فتاوى قاضى خان يلزمه المثل ، وهكذا ذكر الاسبيجاني ، قال ولا ينظر إلى القيمة (٢) **الرأى الثانى - يجب قيمة الفلوس فى تاريخ التعاقد :**

وهذا هو رأى أبى يوسف ، ففى البرازية معزياً إلى المنتقى : غلبت الفلوس أو رخصت فعند الإمام الأول (أبى حنيفة) ، والثانى (أبى يوسف) أولاً ليس عليه غيرها ، وقال الثانى ثانياً : عليه قيمتها من الدراهم يوم البيع والقبض . وقوله يوم البيع أى فى صورة البيع ، وقوله يوم القبض أى فى صورة القرض . وجرى على هذا ابن عابدين وشيخه . حيث صرحا بأن الفتوى عليه فى كثير من المعترات ، فيجب أن يعول عليه إفتاء وقضاء . لأن المفتى والقاضى واجب عليهما الميل إلى الراجح من مذهب إمامهما ومقلدهما . يقول ابن عابدين - رواية عن شيخه العلامة الغزى : وقد تتبعنا كثيراً من المعترات من كتب مشايخنا المعتمدة ، فلم أر من جعل الفتوى فى قول أبى حنيفة رضى الله عنه وأما قول أبى يوسف فقد جعلوا الفتوى عليه فى كثير من المعترات فليكن المعول عليه (٣) .

وخلاصة هذا الرأى المعول عليه هو : وجوب قيمة الفلوس لأعدها .

فيلزم قيمتها عند عقد البيع ، ويوم القبض فى صورة القرض ، أى أنها تستوفى قيمة لا عدداً . وهذا الرأى هو ما اختاره ، حيث إن العلماء رضى الله تعالى عنهم قد جعلوا الفتوى عليه والقضاء به ، وحيث أنه يتمشى مع اعتبار القيمة الجارية الحقيقية ، بمعنى أنه لا يتجاهل التغيرات فى قيمة النقود ، بل يأخذها فى الحسبان عند معالجة آثار تغيرات مستوى الأسعار العام .. وكما سبق أن ذكرت ، فإن القيمة الحقيقية الحاضرة للفلوس لا تختلف عن قيمتها فى تاريخ التعاقد ، ولكن نظراً لأن القيمة فى تاريخ التعاقد تكون قد تبخرت من الأذهان لذا فإنه ينبغى أن ينظر إلى القيمة الحاضرة للفلوس .

(١) ابن عابدين ، تنقيح الفتاوى الحامدية ، لحامد أفندى العمادى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) يراجع فى هذا : رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود لابن عابدين .

(٣) يراجع فى هذا : رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود لابن عابدين .

نتائج البحث الثانى

اولا - النقود المطلقة :

- ١ - هناك خلاف حول جواز استيفاء الدراهم بدلا من الدينارين أو العكس
- ٢ - هناك خلاف أيضاً حول أساس هذا الاستيفاء ، أهو العدد أم القيمة

ثانيا - النقود المقيدة :

هناك خلاف حول الواجب دفعه من الفلوس إذا ما تغيرت قيمتها ،
والرأى المعمول عايه إفتاء وقضاء هو وجوب قيمتها .

المبحث الثالث

معالجة آثار تغير قيمة النقود في الحسابات (١)

تنقسم استخدامات مصادر التمويل - في الفكر الإسلامي - إلى قسمين :
أحدهما مجموعة النقود . والثاني مجموعة العروض ، ولذا فموضوع هذا
المبحث سيتعرض بالمناقشة إلى آثار تغير قيمة النقود على كل مجموعة منهما
على حدة .

أولاً - معالجة آثار تغير قيمة النقود على مجموعة العروض :

تنقسم العروض إلى : عروض قنية ، وإلى عروض تجارية وتشمل دين
التجارة ، والمقصود بعروض القنية وعروض التجارة : هو الانتفاع طلباً
للربح ، ومن ثم فمعالجة آثار تغير قيمة النقود على العروض لا تختلف .
عروض القنية والتجارة :

من دراسة المحافظة على سلامة رأس المال في الفكر الإسلامي - في ظل
ثبات قيمة النقود - اتضح أن هذا الغرض يتطلب - من بين ما يتطلب -
الاعتراف بالقيمة الاقتصادية للعروض ، وأن هذه القيمة تتأثر بثلاثة متغيرات
هي : حالة الأسواق ، والتغيرات في غير العروض ، والتغيرات في صفاتها ؛
وهذا اعتراف يتضمن تقويم العروض بالقيمة التبادلية الجارية في تاريخ
التقويم . ولما كان هناك التزام اقتصادي في المشروع المستمر أن يحافظ على
نفس المستوى من التشغيل . فمن الضروري استبدال وإخلاف عروض التجارة
وعروض القنية . وهذا الإحلال يتطلب مزيداً من الأموال في ظل مستويات
الأسعار المتزايدة وانخفاض قيمة النقود ، ولذا فمن الضروري الأخذ في
الحسبان التغيرات في قيمة النقود ومستويات الأسعار العامة ، وهذا يتضمن
استخدام التكلفة الاستبدالية الجارية عند تقويم العروض ، واحتساب عبء

(١) « دراسة مقارنة عن المحافظة على رأس المال بين الفكر الإسلامي والفكر المحاسبي
الحديث » - رسالة ماجستير للسيد - أحمد تمام سالم - كلية التجارة - جامعة الأزهر ١٣٩٥ هـ -

إهلاك عروض القنية وتكلفة المبيعات : أى أنه إذا كان استخدام القيمة التبادلية الجارية لتقويم عروض المشروع لازماً وضرورياً - فى ظل ثبات قيمة النقود - للمحافظة على سلامة الطاقة الإنتاجية لرأس مال المنشأة ، فإنه فى ظل تغير مستويات الأسعار العامة أكثر لزوماً ، لما تتطلبه عملية الإحلال لعروض القنية وعروض التجارة من مزيد من الأموال لسد العجز الناشئ عن انخفاض قيمة النقود ، فضلاً عما يتطلبه التقدم الفنى من زيادة فى تكلفة الحصول على العروض .

ويستلزم استخدام التكلفة الاستبدالية الجارية فى تقويم عروض المشروع الحصول على قوائم الأسعار الخاصة بالعروض المماثلة لعروض المشروع فى تاريخ التقويم ، فإذا تعذر أو تعسر الحصول على هذه القوائم من أسواق الشراء المتعارف عليها ، فهل يحيز الفكر الإسلامى وسيلة بديلة للتكلفة الاستبدالية الجارية ؟

يقول ابن رشد الحفيد : « يظهر من الشرع أن العدل فى المعاملات ، إنما هو بمقاربة التساوى ، ولذلك لما عسر إدراك التساوى فى الأشياء المختلفة الذوات جعل الدينار والدرهم لتقويمهما - أعنى لتقديرهما (١) - » فإذا أمكن تحقيق العدل فى المعاملات وتحديد قيم العروض بواسطة أداة أخرى ، فإنه يبدو - لى - أن الفكر الإسلامى لا يمانع فى استخدامها ، وبناء عليه ، فى حالة تعذر أو تعسر الحصول على القيمة التبادلية الجارية يمكن استخدام القيمة الجارية لعروض أخرى يمكن أن تعطى طاقة إنتاجية معادلة لطاقة عروض المشروع ، أو استخدام رقم قياسى خاص لكل عرض على حدة أو لعدد من العروض المتجانسة ، كما يمكن الاستعانة بخبراء التقييم ، وفى هذا الصدد يجدر ذكر ما أثاره الفقهاء عما إذا كان يكفى فى التقويم خبر واحد أم لابد من التعدد . فمذهب الشافعية أنه لابد - فى التقويم - من عدلين لأنها شهادة بالقيمة ، والشاهد فى ذلك لابد من تعدده . أما مذهب المالكية فإنه يكفى فى تقويم العروض واحد ولا يشترط التعدد ، لأن ذلك ليس من قبيل الشهادة ، بل

(١) ابن رشد الحفيد ، بداية المجتهد ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ١٤٣ .

من قبيل الحكم ، والحاكم لا يجب أن يكون متعدداً (١) . وأعتقد أن مذهب المالكية أيسر في التطبيق ، إذ أن الاستعانة بأكثر من خبير قد يكلف المنشأة أعباء مالية تفوق الفائدة المرجوة لا سيما - كما هو معروف - أن التقويم يتم بالنسبة للعديد من العروض المتنوعة التي يملكها المشروع الحديث ، مما يتطلب الاستعانة بأكثر من خبير ، كل في مجال خبرته فإذا استعان المشروع بأكثر من خبير في المجال الواحد ، فلا شك أن هذا سترتب عليه نفقات باهظة ولذا فإنني أختار رأي المالكية في هذا الصدد .

ثانياً - معالجة آثار تغير مستوى الأسعار العام بالنسبة لمجموعة النقود :
تتمثل مجموعة النقود في النقدية في خزانة المنشأة ، وطرف البنك ، كما تتمثل في دين النقد ، إذ أن حكمه حكم النقود في الفقه الإسلامي . وقد اتضح من بحث قيمة النقود - في الفكر الإسلامي - أنها تحدد ، إما على أساس التعادل مع الذهب ، وإما على أساس رواجها ، أي نسبة تبادلها بالسلع الأخرى . وحيث إن معظم دول العالم قد خرجت على قاعدة الذهب ، وحيث إن سعر الذهب يتميز بدرجة من الثبات تجعله لا يمثل التغيرات في أسعار السلع الأخرى بدرجة كافية ، فإنه لا مناص من اعتبار الرواج هو أساس تحديد قيمة النقود الآن . ومما يشهد لهذا الأساس ما رواه أبو داود من أن الدية كانت في العهد النبوي ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فلما كان عهد عمر رضي الله عنه قال : « إن الإبل قد غلت ، فقومها (أي الدية) بألف دينار أو اثني عشر ألفاً من الدراهم (٢) . فهذا الأثر يدل على أن عمر رضي الله عنه اعتبر أن القوة الشرائية للنقود تتأثر بمدى التغير في أسعار السلع الأخرى :

ولقد ذهب الفكر الإسلامي إلى مدى بعيد حين تناول العلاقة بين رخص وغلاء النقود وبين الوفاء بالعقود ، وبناء على الرأي المعول عليه إفتاء وقضاء

(١) يراجع في هذا :

وزارة الأوقاف : الفقه على المذاهب الأربعة ، (قسم العبادات) مطبعة دار

الكتب المصرية ١٣٤٧ هـ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) يوسف القرضاوي (دكتور) مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٥ .

وهى ضرورة النظر بعين الاعتبار إلى القيمة الحقيقية للنقود تمشياً مع القيمة الحقيقية الجارية للعروض ، فإنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار آثار تغيرات مستوى الأسعار العام على مجموعة النقود الموجودة في حيازة المنشأة .

وربما يبدو لأول وهلة أن معالجة آثار تغير مستوى الأسعار العام على مجموعة النقود سيكون باستعمال رقم قياسي عام لقياس مدى التغير في القوة الشرائية العامة للنقود ، فاستعمال الرقم القياسي العام إنما يقيس التغير في القيمة العامة للنقود ، وليس التغير في القوة الشرائية الخاصة لها . ولكن بالنظر إلى أن الفكر الإسلامي لا يمانع في إثبات الشخصية المعنوية للمشروع ، ومن ثم فإن مجموعة النقود يتم النظر إليها بعيني المشروع إذ هي في حيازته وتحت تصرف إدارته ، ولا يجب أن ينظر إليها بأعين الملاك كمستثمرين أو مستهلكين إذ أن شخصية المشروع - حينئذ - تكون مستقلة عن شخصيات ملاكه وله ذمة مالية مستقلة عن ذمتهم ، وبالنظر إلى أن الحسابات التي يعدها المشروع إنما هي حساباته هو ، وليست حسابات الملاك ، فالملاك لديهم حساباتهم الخاصة ، ومن ثم يكون الهدف من النظام المحاسبي في المشروع إنما هو خدمة إدارته باعتبارها ممثلة له ، وبالنظر إلى أن مجموعة النقود يقصد منها المساعدة في إجراء المبادلات ، ومن ثم فإنها إما نتيجة عمليات المشروع ، أو مخصصة لها ، فإنني - لذلك كله - أرى أن يتم الوصول إلى القيمة الحقيقية للنقود باستعمال رقم قياسي خاص بالقوة الشرائية للمنشأة ، أي أن تتضمن العينة التي يتركب منها مجموعة السلع والخلدات التي تتعامل فيها عادة .

نتائج البحث الثالث

- ١ - لم تقتصر النقود في مختلف العصور على نوع واحد فقط ، وإنما كان منها النقود المطلقة (الدراهم والدنانير) والنقود المقيدة .
- ٢ - تتحدد قيمة النقود المطلقة على أساس الوزن والعيار من المعادن النفيسة ، وتتحدد قيمة النقود المقيدة ، إما على أساس تعادها مع الذهب ، وإما على أساس رواجها . أى نسبة تبادلها بالسلع الأخرى .
- ٣ - يختار الباحث أن يتم استيفاء النقود المطلقة والمقيدة على أساس القيمة - وليس العدد - في تاريخ الاستيفاء ، أى أن يؤخذ في الاعتبار تغير القوة الشرائية للنقود .
- ٤ - لا مفر - الآن - من تحديد قيمة النقود على أساس الرواج نظراً لحظر التعامل بالذهب ، وخروج معظم دول العالم عليه .
- ٥ - لمعالجة آثار انخفاض قيمة النقود يجب استعمال القيمة التبادلية الجارية أو ما يعادلها ، لتقويم العروض ، وكذلك استخدام رقم قياسى خاص بالقوة الشرائية للمنشأة لتقويم دين التجارة ، ومجموعة النقود .
- ٦ - لا تعتبر فروق التقويم خسائر أو أرباحاً قابلة للتوزيع ، وإنما هى فروق قيم

تقويم جهود ابن حزم ومنهجه في مجال التشريع الإسلامي

د . عبد العظيم عويس

يقف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)
بأصول التشريع الإسلامي عند أربعة أصول هي (القرآن ، السنة ، الإجماع
والدليل) .

فالقرآن الكريم هو مصدر المصادر ، فما من أصل شرعي إلا كان
اشتقاقه من القرآن ، فهو الأصل لكل أصل في الإسلام^(١) « وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

وابن حزم يرى أن أصل « البيان » ثابت في القرآن إما بذاته وإما ببيان
السنة أو الإجماع .

ويعتبر ابن حزم من أنواع البيان ثلاثة : الاستثناء ، والتخصيص ،
والتوكيد . فالاستثناء والتخصيص مثلما ورد في آية إهلاك قوم لوط ..
(إلا آل بيته) ، باستثناء امرأته من بينهم . والتوكيد مثل قوله تعالى :
« فتم ميقات ربه أربعين ليلة » بعد أن ذكر تعالى ثلاثين ليلة وعشرا^(٢) .

(١) أنظر ابن حزم : النبذ ص ٧ .

(٢) أنظر ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام - ص ٨٠ وما بعدها وانظر

المحل ١-٦٨ .

وألفاظ القرآن تفهم بمقتضى الظاهر فيها ، إلا إذا قام دليل آخر من نص آخر على غير ذلك ، ويكون بياناً للأول .

أما السنة فهي متممة للقرآن في بيان الشريعة « وابن حزم ينظر نظر الشافعي من حيث إنه يعتبر القرآن والسنة جزءين أو قسمين كلاهما يتمم الآخر ، ويسميها النصوص » (١) .

وأقسام السنة عند ابن حزم مثلما هي عند غيره ثلاثة : قول وفعل وتقرير لكنه يرى أن الحجة هي أقوال النبي .. أما الفعل فلا يكون حجة إلا إذا اقترن بقول أو قامت قرينة على قيامه مقام القول ، أو كانت تنفيذاً لأمر .

والسنن عنده — من زاوية أخرى — تنقسم قسمين : سنن متواترة ، وأخبار آحاد .. فالمتواتر « هو ما نقلته كافة بعد كافة لا تقل عن اثنين لم يلتقيا » حتى تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ، وهذا أثر لم يختلف مسلمان في الأخذ به ، وهو نادر .

وقد أجهد ابن حزم نفسه في البحث عنه فجمع منه نحو ثمانين حديثاً أوردها في المحلى ، الذي اعتبره الأصوليون ثروة كبيرة للمحدثين والفقهاء جميعاً . والمتواتر الذي انتهى إليه ابن حزم قد اعتمده من جاءوا بعده من المشاركة والمغاربة (٣) أما حديث الآحاد فهو — عنده — ما نقله الواحد عن الواحد واتصل براويه العدول الثقات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويجب الاعتقاد بصدقه والعمل به ، وابن حزم يقدم من سيرة الرسول الأدلة على توثيق هذا الحديث ، فقد بعث الرسول عليه السلام معاذاً إلى اليمن ، وأبا بكر أميراً للحج وأبا عبيدة إلى نجران .. وهم آحاد (٤) .

(١) محمد أبو زهرة : ابن حزم : ٢٩٧

(٢) أنظر الكتاني معجم فقه ابن حزم ٥٦

(٣) الكتاني : معجم فقه ابن حزم ٥٦ ، ٥٧

(٤) ابن حزم المحلى ١ - ٦٧ وأنظر أبا زهرة ص ٢٩٧ وما بعدها

.. أما الحديث الموقوف - وهو ما لم يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
والحديث المرسل وهو ما كان في رواته مجهول - فلا تقوم بهما حجة (١) .

ومن مقررات ابن حزم في هذين المصدرين (القرآن والسنة) أنه
لا تعارض بين نصوصهما بل نصوصهما متكاملة ، وذلك لأنه لا يتصور
تعارض مادام المصدر هو الوحي الإلهي . وأى تعارض يبدو في الذهن إنما
مرجعه إلى أنه تخصيص لعام ، أو تنمة لمعنى جديد لم يستوفه النص الأول ،
أو أمر خاص بعد أمر عام ، أو نهى خاص بعد نهى عام (٢) .

ومن مقرراته كذلك أن الأوامر والنواهي الواردة في القرآن والسنة تؤخذ
على ظاهرها ، أى الوجوب الحتم أو النهى الحتم . . ومن هنا فقد انفرد
ابن حزم بآراء: منها فرضية الزواج على كل مستطيع الباعة والنفقة ولو لم ينش
الزنى . وجعل العمرة فرضاً كالحج ، وجعل مكاتبه العبد حقاً له فرضاً لازماً
إذا طلبها من سيده ، وأوجب ترك البيع وقت النداء لصلاة الجمعة ،
وأوجب حق الماعون للحجار .. وهذا كله بتأثير الظاهرية التي يلتزمها .

أما الإجماع ، وهو المصدر الثالث للتشريع عند ابن حزم الأصولي :
فهو إجماع الصحابة (٣) قبل تفرقهم في الأمصار ، ثم إجماع من يجيء
بعدهم يكون تبعاً لإجماعهم .

وما اختلف مسلمان قط في أن ما أجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم
دون خلاف هو إجماع متيقن مقطوع بصحته (٤) وهو إجماع متواتر

(١) أنظر ابن حزم : المحلى : ١-٦٥ ، ٦٦ ، ود : سلام مذكور ، مناهج
الاجتهاد في الإسلام ٧٠٨ .

(٢) أنظر أبا زهرة : ابن حزم ١٣٨ وما بعدها .

(٣) وقد مثل الإجماع السلطة التشريعية بعد عهد الرسول عليه السلام . وقد اعتمد
الصحابة في إجماعهم على صحبتهم وفهمهم لنصوص الكتاب والسنة (أنظر أستاذنا الدكتور
أحمد شلبي : تاريخ التشريع الإسلامى ١٦٧ ، ١٦٨) .

(٤) أنظر ابن حزم : المحلى ١-٧٠ ، ٧١ ، ود : عبد الله الزايد : ابن حزم الأصولي

متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر علم من الدين بالضرورة لا يمكن إلا أن يكون عن نص ، بل ما هو أقوى من النص ، وهو التوقيف ، والتعليم من الرسول صلى الله عليه وسلم (١) فمسند الإجماع في النهاية إنما هو النص .

وهذا القيد يخرج صوراً كثيرة من الإجماع قالت بها المذاهب الأخرى ، مثل إجماع أهل المدينة (٢) ، وإجماع أهل الكوفة ، وعرف الناس ، والإجماع السكوتي (٣) ، وإجماع الأكثرية (٤) ، وإجماع أهل العصر من غير عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥)

والدليل وهو الأصل الرابع من أصول ابن حزم والظاهرية — هو أمر مأخوذ من الإجماع أو النص ، مولد منهما مأخوذ من دلالتها وليس حملاً عليهما . أو قياساً إليهما . وذلك كأن يشتمل النص على مقدمتين تركت نتيجتهما فيكون استخراج النتيجة هو الدليل ، أو تطبيق عموم فعل الشرط كقوله تعالى « إن يذهب يغفر لم ما قد سلف » ، أو نفى معنى ضروري يفهم نفيه من النص ، أو عدم النص على الشيء كما هو في باب الاستصحاب الذي يعني أن ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاءه في الزمن الحاضر والمستقبل (٦) .

وقد رفض ابن حزم من مصادر التشريع الإسلامي ما ذكره الأصوليون

— بعد الأصول السالفة الذكر — وهي :

(١) أنظر النبذ ص ١٣ ، ود . سلام مذكور : مناهج الاجتهاد ٧٠٩ ، و . عبد الله الزايد : ابن حزم الأصولي ٢٥٣ ، وأنظر أبا زهرة ٣٥٤ وما بعدها .

(٢) أنظر النبذ ص ١٦ والكتاني : المعجم ١٧

(٣) أنظر النبذ ص ١٥

(٤) أنظر النبذ ص ٦٤

(٥) أنظر النبذ ص ١٠ ، ١١ ، وأنظر : أبا عبد الرحمن الظاهري : مصادر

التشريع المرفوضة عند أهل الظاهر مقال بمجلة الدعوة السعودية عدد ٤١٩ (٢٠ / ٨ / ١٣٩٣ هـ)
وأنظر الكتاني : المعجم ١٧ .

(٦) أنظر أبا زهرة ٣٦٤ وما بعدها .

١ - القياس :

فإن ابن حزم ينكر أن يكون تقدير فرع على أصل أو نظير على نظيره لمشابهته في علة (١) أصلاً تشريعياً ، وهو يعتبر ذلك لوناً من الرأي . والقول في الدين بالرأي عنده حرام « لأن أحداً من الصحابة لم يصحح أحد منهم القول بالرأي قط ، بل قد ثبت عن الصحابة ذم الرأي (٢) .

وقد أورد ابن حزم الأدلة التي ساقها القائلون بالقياس ، ورد عليها :
فقد احتجوا بأدلة فعلية كقوله تعالى : « قل يحياها الذي أنشأها أول مرة » وكقوله تعالى « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وكقوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق (٣) » ففي هذه الآيات أقيسة من وجهة نظرهم .
كما أنهم احتجوا بأدلة عقلية كقولهم : لما رأينا البيضتين إذا تصادمتا يكسرتا علمنا أن ذلك حكم كل بيض لم ينكسر .. فهذا قياس (٤) .

واحتجوا بأدلة تاريخية كإجماع الصحابة على تقديم أبي بكر قياساً على تقديم النبي له . وكقتال أبي بكر لما نعى الزكاة قياساً للزكاة على الصلاة (٥) .

وقد رد ابن حزم على هذه النصوص بدلالة اللغة ، وبإيراد النصوص الأخرى المتعلقة بهذه القضايا والتي لم يستطع أصحاب القياس الاهتداء إليها (٦) .

-
- (١) أنظر الدكتور أحمد شلبي : تاريخ التشريع الإسلامي ١٦٠
(٢) ملخص إبطال القياس ٢٢ ويجب أن نذكر هنا أن ابن حزم ينكر صحة حديث معاذ الخاص بالرأي ، أنظر مخطوط إبطال القياس ورقة ٥ .
(٣) أنظر ، مخطوط إبطال القياس ورقة ١١ وما بعدها وملخص إبطال القياس ص ٢٣ وما بعدها .
(٤) أنظر الإحكام ٨-١٠٢٩ والمحل ١-٧٤
(٥) ملخص إبطال القياس ٢٦ وما بعدها .
(٦) ملخص إبطال القياس ٢٧ وما بعدها وأنظر أبا زهرة ابن حزم ؛ ٤١٨ وما بعدها .

ثم بنصوص حرم القرآن فيها القياس مثل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » وقوله « ولا تقف ما ليس لك به علم » (١) .

ولم يكتف ابن حزم بالرد على أصحاب القياس ، بل أتى بقضايا أوجبت — عملياً — القياس ، لكن القياس لم يضح فيها شرعاً ، كما أن أصحاب القياس لم يقيسوها ، أو قاسها بعضهم وامتنع آخرون عن قياسها (٢) .

٢ - الاستحسان :

يعتبر ابن حزم الاستحسان من باب القول في الدين بالرأى والهوى الباطل (٣) ، وسواء زعم المستحسن أنه إنما استحسن للمصالح العام « المصالح المرسلة » أو لمصلحة محددة بموقف ، فاستحسانه — أى رأيه الذى يميل إليه دون دليل (٤) — مرفوض لأنه ليس استحسان فقيه أولى بالاتباع من استحسان آخر ، ولو ضار الدين إلى هذا لكان لكل أحد أن يشرع باستحسان ما شاء (٥) ، فإن أوردوا : « ما رآه المسلمون حسناً » — فهذا حديث موقوف . ولو صح لما كان لهم فيه متعلق لأن ما رآه المسلمون حسناً هو الإجماع ولم يقل ما رآه بعض المسلمين (٦) .

٣ - التعليل :

وكما ينكر ابن حزم القياس والاستحسان ينكر القول في الدين بالتعليل . والتعليل اسم لما يتغير الحكم الشرعى بتغيره (٧) .

(١) المحلى ١-٧٣ .

(٢) أنظر الإحكام ٨-١٠٨٦ ، ١٠٨٧ .

(٣) أنظر مخطوطة إبطال القياس ورقة ٢٢ .

(٤) د. أحمد شلبى : تاريخ التشريع الإسلامى ١٧١ .

(٥) ملخص لإبطال القياس ٥٠ .

(٦) المكان السابق . . .

(٧) د. عبد الله الزايد بن حزم الأصولى ٣١٨ .

وهو يتعقب أدلة مخالفيه ، ويورد أدلة خاصة على رأيه كما هي عادته .
وقد قصر النصوص التي تفيد المنع من الذرائع على الورع والحصن ،
لا على الإيجاب وال لزوم ، واستشهد على رفض الأخذ بالذرائع بآيات منها
« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام » ، ومنها :
« وقد فصل لكم ما حرم عليكم » (١) .

وقد طبق ابن حزم هذه المعالم الأصولية في منهجه - حين قدم لنا
مذهباً فقهياً « حزمياً » عبر موسوعته التي وصلتنا ، وهي « المحلى » ،
إذ أن المحلى قد استغرق سائر أبواب الأصول والفقه ، بدءاً من باب « التوحيد »
والإيمان والقواعد الحزمية في الأصول ، وإلى أن فرغ من سائر أبواب
العبادات والمعاملات في مسائل أهل الذمة وأنواع التعذير .

وقد حمل هذا الكتاب بين دفتيه مذهب ابن حزم الفقهى الذى تدعوه
« بالحزمية الظاهرية » مقارناً إياه بالمذاهب الأخرى ، ولم تكن المنية قد

تركت لابن حزم فرصة لإتمامه ، فإنه لم يكتب فيه إلا (٢٠٢٨) مسألة من
مجموع مسائله البالغة (ألفين وثلاثمائة واثنى عشرة مسألة) . والمسائل الباقية
وهي تبدأ من مسألة رقم (٢٠٢٩) « وأما الدية في قتل الخطأ فعلى العvisية
وهم العاقلة » (٢) . اختصرها ابنه أبو رافع من كتاب الإيصال الذى لم يصل
إلىنا .

ولأنه لما جعلنا ندرك مدى جهود ابن حزم في ميدان الفقه أن المحلى
الذى تبلغ صفحاته نحو (٧٠٥٠) صفحة من القطع المتوسط ويقع في
ثلاثة عشر جزءاً (٣) . إنما كتبه ابن حزم « شرحاً مختصراً للمسائل التي جمعناها

(١) أنظر ذ. عبد الله الزايد : ابن حزم الأصول ٥٥٨ ، ٥٦٥ .

(٢) أنظر ١٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) حسب طبعة مكتبة الجمهورية بمصر بتصحيح زيدان أبو المكارم حسن وحسن
زيدان طلبة سنة ١٩٧٢ م (ومنها أكثر من ستة آلاف صفحة كتبها ابن حزم بخط يده ،
وبالباقي اختصره من الإيصال ابنه أبو رافع) .

في كتابنا الموسوم بالمحلى يقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار ، ليكون مأخذه سهلاً على الطالب والمبتدئ» (١) .

ومع ذلك ، فهذه الموسوعة (المحلى) اعتبرت من أعظم المدونات لاجتهادات السلف رضوان الله عليهم ، سواء في باب العقائد أو التشريعات الفرعية . إن كان من الضروري جمع المسائل المتشابهة إلى بعضها (٢) .

وقد ضمت من آراء السلف (١٢٩٠٣) آراء ، نسبت إلى ٥٤٦ عالماً سلفياً ، منهم من ذكر له ابن حزم أكثر من ستمائة رأى ، ومنهم من لم يذكر له إلا رأياً واحداً . ويضاف إلى هذه الآراء (٢٥٠) مسألة (٣) لفريق من الصحابة لم يعرف لهم فيها مخالف (٤) .

وفي ختام حديثنا عن جهود ابن حزم في الفقه وأصوله نستطيع أن نلاحظ ما يلي :

١ - أنه طبق ظاهريته تطبيقاً كاملاً ، وكان يأخذ الأدلة التي يسوقها بظواهر ألفاظها .

٢ - أنه إمام من جملة الأئمة الذين لهم باع طويل في علم الأصول والفقه ، وأنه صاحب مدرسة مستقلة .

(١) المحلى ١-٣ يتصرف .

(٢) أنظر Roger Arnaldez La Profession Defoi D,ibn Hazm P141

(٣) أنظر محمد رواس قلعجي : ابن حزم في المحلى مقال بمجلة حضارة

الإسلام الدمشقية عدد ٦ شعبان ١٣٨٦ هـ .

(٤) أكثر أصحاب الآراء في المحلى هم على الترتيب : عمر بن الخطاب وله ٦٢٣ رأياً

وعطاء وله ٦٠٢ »

والحسن البصري وله ٥٩٥ »

وإبراهيم النخعي وله ٥٦٠ »

وأبو سليمان وله ٥٤٠ »

(أنظر المرجع السابق)

٣- وهو في تجديده واستقلاله وعمقه يشبه الإمام الشافعي ولا سيما من ناحية التزامه بالآثر ، كما أنه يتفق في هذا الباب مع الإمام أحمد بن حنبل .

٤- ومع ما يبدو في منهج ابن حزم من تضيق ، فإن التزامه بالظاهرية قد هداه إلى آراء فقهية ، تضمنها المحلى وغيره - اعتبرت سابقة لعصرها ، ومن ذلك رأيه في حق المكاتب للعبد ، ومساواة العبد بالحر في عدد الزوجات ، ورأيه في الغناء ، وفي منع تأجير الأرض ، وأن الأرض لمن يزرعها ، وفي وجوب إنفاق الزوجة على زوجها ، إذا كانت موسرة ، وفقاً لما فهمه ابن حزم من ظاهر قول الله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » ، وكذلك كان ابن حزم رائداً في « الوصية الواجبة » للأقارب غير الوارثين ، وإعطاء الحاكم حق تنفيذ الوصية الواجبة في تركة المتوفى حتى ولو قصر فيها .

وهل رأى ابن حزم اعتمد القانون المصري في وجوب الوصية لفرع الولد المتوفى في حياة أبويه (١) ، وقد تناولت هذه القضية بالبسط المواد رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ من القانون المصري رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ م .

وكل هذه الإضافات تؤكد أن منهج « الحزمية الظاهرية » في التشريع ، ليس أقل من غيره من المذاهب ، سعة وعمقاً ، وإن بدا ضيقاً عند النظرة السطحية ، وبالتالي فهو منهج جدير منا بالدراسة والتحليل .

(١) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة : ابن حزم ، ص ٨٠

وقت ضائع لحاجة الحركة الإسلامية

أبو اليزيد المعجمي (*)

توطئة :

ليس من الضروري أن أعنى بالتحديد الفلسفي والفكري لمصطلح الحركة الإسلامية ، فذلك أمر تتضمنه بحوث لا يزال الرأي فيها بين الأخذ والرد وذلك هي طبيعة المصطلحات التي تجد على الناس ويتراءى لهم استخدامها دون أن تستند إلى أصل استعجالي في نص يقطع الشبهة باليقين . غير أن هذا لا يعفني من أن أبين وأحدد ماذا أعنى بالحركة الإسلامية هنا تلك التي تحتاج الوقت الذي يضيع منها في غير ما اضطلعت به ، وأبادر فأقرر أنني أعنى بها صنفين من جمهرة المسلمين : أولاهما رجال أخلصوا لدينهم وكرسوا جهودهم للدعوة وما تقتضيه من عطاء وتحملوا في سبيلها كل ما يتحمله أصحاب الدعوات وخدمة المبادئ ، وهؤلاء - بوصفهم هذا - يدركون الغاية من جهدهم وإن لقيتهم في الطريق بعض الصعاب وبعض العقبات التي غالباً ما تكون من خارج صفوفهم وإن وجد بعض ما يلاحظ في خطة هؤلاء . ثانيهما : أولئك المسلمون الذين قيض الله لهم قدرًا من العلم وحملهم بذلك مسئولية

(*) مدرس الفلسفة المساعد بكلية دار العلوم بالقاهرة .

الكلمة ، وهم يعلنون الولاء لإسلامهم في أقوال شتى وتصريحات مختلفة غير أنهم لا يسرون في الطريق المؤدى إلى تحقيق الهدف وإن كانوا يعلمونه ، ونحسن الظن بهم فنقول قد يكون ذلك مرده إلى اجتهاد يحتاج إلى نظر ومراجعة .

وهؤلاء وأولئك تنتظمهم الحركة الإسلامية بوسع دالاتها وعميق مفهومها إذ هي تحتاج إلى كل الجهود المخلصة فكراً وعملاً لتضطلع بما يجب أن تضطلع به في هذا الدور من حياة المسلمين ، وهي حين تنتظمهم بين معناها : تلقى عليهم تبعة هذا الانتماء وتطلب منهم لأنفسهم ثمن هذا الشرف .

وإذا كنت ألمس بعض مبادئ يضيع الوقت فيها دون عطاء يقدم الحركة الإسلامية خطوة واحدة فإنني أتوجه بهذا إلى كل المؤمنين بالله المتحملين لعبء الدعوة والذين في إمكانهم أن يتحملوا ويسهموا في تحمل أعبائها من غير ما حاجة إلى أن يفسر هذا الاتجاه لصالح منحي ما ، اللهم إلا ابتغاء طريق الحق « والحق أحق أن يتبع » .. والحركة الإسلامية تعيش عالمها اليوم بكل أثقاله وضغوطه وتذكر مهامها فيه ولذا يجب أن تكون الجهود مرشدة في اتجاهها نحو تحقيق الهدف من وجود هذه الحركة عطاء للناس وخيراً عليهم وهداية لهم وعوناً وتطبيقاً أميناً وواعياً للإسلام الذي حملة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) إلينا في قرآن الله وبينه في سنته وطبقه أصحابه معه ، ومن بعده ، وسار على الدرب قوم علموا الدنيا الحضارة ، ونأمل أن يعودوا إلى مراكز التوجيه والتعليم مرة أخرى .

الوقت الضائع :

من أهم مسئوليات الحركة الإسلامية اليوم أن تعنى بتربية مسلم متوازن الشخصية يجمع في ذاته التزام النصيين وفهم العقلانيين وروح وسمو الروحيين ونما أظن هذا الأمر بموضع خلاف خاصة إذا تذكرنا بعضاً من التاريخ الفكري والعمل للمسلمين وكيف كانت الخلافات تدور بين (من سموا بالنصيين) الفقهاء وبين من وجهوا اهتمامهم إلى تنقية الروح وإصلاح الباطن (الصوفية) ثم كيف دارت الخلافات في الفهوم والاستنباطات بل والأحكام

بين الصوفية والفلاسفة (العقلانيين) حيناً من الدهر ، ونفس الشيء كان بين النحهاء والفلاسفة ، ويعمق هذا التذكر بمحاولة معرفة أسبابه ، وسوف نجد أنه بعيداً عن الأثر السياسى الحاكم فى توجيه هذا الخلاف فإن أصله — فيما يظهر — كان وليد الفهم الجزئى لواجبات الحركة الإسلامية ، وهذا هو الخطأ الذى يتكرر فى حياة المسلمين اليوم وتتضمنه مناهجهم فى التربية والإصلاح .

إذ بين صفوف المسلمين اليوم من يعنون كل العناية بالأحكام الفقهية ولو فى صورتها الجزئية المبتسرة التى تفتقد السياق وتحتاج إلى التعليق والتحليل وفلسفة المضمون توطئة لتعليلها — وهذا فى غير التعبديات — وطريقاً إلى إشرابها للروح والوجدان والعقل ، ولا شك أن أصحاب هذه الدعوة يستندون إلى أدلة بعضها نصى كتلك الآيات التى تأمر بالعبادات (الصلاة ، الصيام ، الزكاة ، الحج) (١) وتعالج بعض أنواع المعاملات ، وبعضها اجتهادى كجعلهم العلم بالأحكام الفقهية مدخلاً ضرورياً لكل إصلاح وحتى هذا الحد لا نزعهم أنهم يضيعون وقتاً ولا أن لنا على كلامهم هذا بعض الرد ولكنهم يتجاوزون هذا الحد اللائق والمعقول حين يصرون على أنهم لا غيرهم — هم الأولى بالاتباع والأجدر بالتقديم ظناً منهم أن العقل يضل فى كثير من أمور الدين وأن الإغراق فى الروحانيات أمر يقلل من قيمة العبادات والمعاملات .

ونحن نرى أن هذا الجهد المبذول فى صورة دعم لهذا الرأى ، وقرينه المبذول للمجادلة فى باب إثبات هذا الزعم أمر تحتاجه الحركة الإسلامية فى باب بنائها للشخصية المسلمة متكاملة متوازنة ، ولأن يبذل هذا الجهد متعاوناً مع جهد الفلاسفة والصوفية خير من أن يضيع نفسه وغيره خذراً من أن تصير الأمور إلى باب الانتصار للذات والغلبة للرأى وما أمر علماء الكلام (التوحيد) المسلمين منا ببعيد .

(١) أنظر « سورة البقرة » ٨٣ ، ١١٠ — سورة النساء ٧٧ . وسورة الحج ٧٨ وسورة النور ٥٦ والبقرة ٨٣ — ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ . وغير هذه الآيات فى بابها كثير . وسورة المجادلة ١٣ وسورة المزمل ٢٠ وآل عمران ٩٧ والحج ٢٧

وإلى جانب هذا الميدان الذي يتبدد فيه قوى ما أحوجنا إليها نجد العقلانيين أو عباد العقل كما سماهم بعض الباحثين ، فهم يرون أن الحق في الاهتمام بالعقل وعقلانية كل شيء في حياة المسلم ومحاولة تغليب هذا الطابع على شخصيته ظناً منهم أنه بهذا يسير في موكب العقلانيين المتقدمين علمياً في الغرب مثلاً وأن هذا يجعله ابن عصره .

وحين يحاولون الربط بين زعمهم هذا وبين الإسلام لا يعدمون - وهم على حق فيما يجدون - الآيات الدالة على النظر والتأمل وفواصل الآيات الواصفة للمؤمنين بالتدبر والتذكر والتعقل (١) . وينطلقون من هذا إلى ضرورة مناقشة كل شيء في الدين وإعمال العقل فيه بحثاً عن الحكمة واستمراراً في التحليل والمناقشة وقد يجرهم هذا الخط إلى تفسيرات للإسلام يظنونها - من منطقهم - عقلانية واعية بل ويدعون إلى الأخذ بها كمنهج يرون أنه كفيل بتحقيق تقدم المسلمين في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن العلمية التي يعتبرها هؤلاء المنطلق والبداية الأصلية لإنسان العصر مسلماً كان أو غيره ، والمسلم من باب أولى لما في دينه من دعوة إلى التعقل والتأمل وما فيه من الوعود بالكشف العلمية التي تتحقق في الكون ونشس الإنسان .

وبدون أن نتعرض لمناقشة هؤلاء الذين تعرضوا لمناقشة جادة من بعض الباحثين نلاحظ أنهم كغيرهم يعتبرون أنفسهم الوجه المشرق للحركة الإسلامية فهماً ووعياً وحضارية ، وهم بهذا يثبتون حسن ولائهم للإسلام أكثر من غيرهم وشدة حرصهم على تقدم الحركة الإسلامية ونهوضها بأعبائها .

كما نلاحظ أنهم دخلوا في الجدل والمناقشة مع غيرهم من أصحاب الاتجاهات الإسلامية الأخرى (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) وجذبوا إلى ساحة هذا الجدل كثيراً من اهتمام المسلمين فضيعوا بذلك الفرصة على أنفسهم بالإفادة فضلاً عن الاستفادة ، وعلى غيرهم بتضييع وقتهم وتبديد جهود

(١) البقرة ٧٦ ، ٢٤٢ ، آل عمران ٦٥ ، ١١٨ ، الأنعام ٣٢ ، ١٥١ .

الأنبياء ١٠ ، ١٧ ، وغير هذا في بابيه كثير .

فكرهم ، ثم المغالطة لكل المسلمين حيث لا يجدون في النهاية إلا كلاماً في كلام وما أغناهم عنه في وقت تحتاج الحركة الإسلامية فيه إلى جهد وعطاء مخلصين واعيين .

وفي نفس الساحة نجد قوماً كل همهم الاهتمام بالروح وإصلاح الباطن - وإن كانوا لم يغفلوا الجانبين الآخرين الفقه والفلسفة - زاعمين أن هذا هو نقطة البدء في حركة الإصلاح ومؤكدين ضرورة هذا مستشعدين بأدلة تاريخية تلك التي تبرز دور أسلافهم الروحيين في نشر الإسلام وكسب أرض جديدة له ومقوين أدلتهم هذه بأدلة أخرى من القرآن والسنة تلك التي تتحدث عن القلوب وطهارتها واطمئنانها ، وعن النفس وضرورة تنقيتها وترقيتها ، وأثر كل هذا في المعرفة وتحصيل العلوم ، وضرورة هذا كله للعقل المستنبط كي يكون العقل المسترشد بالنور الإلهي (١) وهم في هذا الميدان معهم بعض من الحق (وإن كان الحق لا يتجزأ) في ضرورة هذا للحركة الإسلامية ولكنهم كسابقهم ضيعوا جهوداً بعضها في تركية مسلكهم على كل المسالك ، وبعضها في حوار جدلي كانوا هم أحد أطرافه أضاعوا فيه الوقت وبددوا فيه الجهود دون أن يدركوا أن التصوف عطاء للحياة وإثراء للقيم حين تكون نظرتهم أكثر شمولاً وأدق نظراً من مجرد الانغلاق على الذات ونسيان كثير من حقوق الغير علينا .

وكل هذه الأطراف حين تبدد هذه الجهود وتمزق هذه الفرص أمام الحركة الإسلامية يعلن كل منها أنه معنى ببناء الشخصية الإسلامية المؤهلة لإعادة مجد المسلمين من واقع دينهم وقرآنتهم وسنتهم ، ولو أنصفوا جميعاً لأدركوا أن بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والصالحة لقيادة الحياة يحتاج كل هذه الجوانب فما أحوجنا إلى مسلم يعلم الأوامر والنواهي في كل جوانب الحياة . ثم هو يحاول أن يفهمها وأن يستكنه أسرارها ، لتصل هذه الشريعة

(١) البقرة ٢٦٠ ، الرعد ٢٨ . الشعراء ٨٨ ، ٨٩ . المنافقون ٩ . يوسف ٢٣ ، القيامة ٢ .

المفهومة بوعى إلى عمق روح المسلم فتصير جزءاً من كيانه يحتاجه كدمه وتحكمه كفطرته ، وبذلك تتكامل الجوانب الثلاثة من الحركة الإسلامية فتبعد عن صراعتها المبني على الفهم الجزئي لرسالة المسلم والمناسية أو الناسية أن الإسلام العميق يعنى بترقية أبنائه بدءاً من الإسلام كنطقه بالشهادتين ومروراً بالإيمان كتعميق لهذه الشهادة وتطبيق عميق لها من غير ما تردد أو مهاترة وانتهاء بالإحسان حيث يكون العمل لله يرى الله في كل شيء لأنه يوقن أن الله يزاه في كل شيء وهكذا يضيع في هذا الميدان جهود تزعم أنها تبنى وتشيد للحركة الإسلامية بناءها وهي في الحقيقة تستنزف طاقتها وقدرتها على الصمود وما أخرجنا إلى هذا الجهد الضائع ..

ومجال آخر :

تحت ميدان آخر أصابته عدوى ضياع الوقت الذي لا بد أن يدرك المسلمون قيمته لأن الله سبحانه أقسم بالوقت وكرمه (والعصر .. والضحى والليل) . ذلك أن بعضاً من كتاب المسلمين يودون لو قدموا للإسلام شيئاً . وحسبهم هذا إخلاص نية وشرف مقصد ، ولكنهم حين يتصدون للدفاع عن الإسلام في وجه مهاجم ، أو المدح للإسلام في معرض الثناء أو المفاضة ، ينجى عملهم هذا أو ذاك في باب ضياع الوقت والإغراق في ثنايا القشور حتى إذا ما وصل إلى اللب والجوهر يكون قد أعياه التعب ومتابعة السير في المنعطفات فلا يستطيع أن يرى نور الجوهر على حقيقته ولا أن يقدم له في باب البيان والوصف أو الدفاع شيئاً مذكوراً وهذا وقت يضيع في ساحة قتال ، للوقت فيها كبر وزن وعظيم أثر .

وحتى لا نفرق في عماء السطحية نذكر - والذكرى تنفع المؤمنين - بما قد يكون في مجال الدفاع عن الإسلام في وجه بعض المستشرقين الذين اتهموا أهله بالعقلية الجزئية المفككة واتهموا فكره بعدم الشمول وافتقار الأبعاد العميقة للنظرة ، وخلوه من نظريات وخطط متكاملة صالحة للحياة ، وفي هذا الميدان تكون الردود غالباً بطريقة خطائية تكيل الدم لهؤلاء المهاجمين .

وتمتدح الإسلام بعبارات حلوة الجرس جميلة الدلالة في هذا الباب ، وما أظن السبب عدم معرفة علمائنا ومفكرينا بالإسلام إذ منهم من فنى عمره في هذا الباب ولكنه بدلاً من أن يقدم وقتاً للرد في صورة نظرية فكرية متكاملة نراه يستهل هذا المدح وهو وقت ضائع .

واستهال القشور والرغبة في الكتابة والحوار أو ما يسمى بالترف الفكرى جعل كثيراً من الكتاب والعلماء المسلمين يغرقون في مبتاهات الجدل الذى لا يقدم لقضايا المسلمين شيئاً فتراهم يتحاورون في يسار إسلامى وإسلام يسارى ويعنف الصراع حتى يبلغ حد الاتهام وبين من؟ بين المسلمين والكتاب منهم والعلماء . ولست أجده تفسيراً لهذا غير ضعف في الصلة الحقيقية بالإسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً لأنه لو تحقق للمرء هذا الشرف لشعر بذاته وكيانه ولا يشعر هوية خاصة تميزه عن غيره وهنا فلا يجد ضرورة بل ولا يستحسن أن ينفق وقته المملوك للحركة الإسلامية في كلام أحسن ما يقال فيه : إنه بحث عن الذات الإسلامية في غير الإسلام .

والاتجاه القشرى هذا إلى جانب رقيقة التشكى الذى لا يحس ذاته : هو في ذاته وقت ضائع وكان أولى بمن يضيع هذا الوقت - لو أخلص النية لدينه أن يبذل في صورة بحوث تقدم الإسلام للناس كل في فنه وتخصصه فهذا بحث يقدم رأى الإسلام ونظريته في الاقتصاد - مع معرفتنا بضرورة التجزئة للدراسة وهذا آخر في باب القانون الدستورى ، وهذا ثالث في باب الاجتماع الدينى وأصوله وهذا في باب التربية وغير هذا من الميادين التى تحتاجها حياة المسلمين وسط عصرهم المائج بكثير من التيارات والتحديات .

وقد نحسن الظن فنقول إن هناك عدداً من هذه البحوث توافر على إخراجها بعض الباحثين وهؤلاء لا نغبطهم حقهم ، ولكننا نهيى بمن يضيعون أوقاناً ويقتلون جهوداً في غير فائدة . أن يوجهوا جودهم لتضافر مع باقى جهود الحركة الإسلامية في كل مكان . لنظهر إسلامنا من أصوله ومصادره في صورة تقدم للمسلم الذى تحيطه تيارات العلم والمناهج والتقنية في كل مكان

لتنشله من أوهام يذرهما المشككون ولتغويه السلاح والفرصة ليحمل مشعل الإسلام في آفاق أرض الله يقدم الخير للناس هداية وعوناً ونصحاً وتلك طبيعة الاسلام في أصوله .

وشبابنا :

مما تتحمل الحركة الإسلامية مسئوليته وتعنى به غاية الاهتمام أمر شبابنا تلك الطاقة التي حاول الغرب الصليبي في ظروف الحرب التي تهرز كثيراً من قيم غير الواقفين على أماكن صلبة ، وظروف غيبة بعض حماة هذا الشباب في السجون والمعتقلات ، وظروف فساد مناهج التعليم في البلدان الإسلامية .. في كل هذه الظروف أن يفرغ الشباب من مضمونه وأن يبعده قدر المستطاع عن روافة دينه ومصادره ثقافته الإسلامية ، وكان حال الشباب اليوم يحتاج إلى رعاية في الوقت الذي كنا نتمناه فيه حاملاً للراية والمشعل في مجاهل أفريقيا وغيرها من بقاع الأرض التي تحتلها قوى التبشير ولا يتاح لها - في الأعم لأغلب - أن ترى نور الإسلام ولا أن تعرف شيئاً عنه فضلاء يثله المبشرون من مغالطات في الإسلام والمسلمين ، كنا نحتاج شبابنا اليوم لمهمة الهداية والتنوير ، ولكن الحقيقة وجدناه يحتاج هو إلى عون وتبصير .

في هذا المجال يضيع بعض المسلمين وقتاً حين يغرق بعضهم في اللوم والتقريع والتوبيخ للشباب وحين يبكي أو يتباكى على حاضري الشباب المسلم بطريقة تبعث على القنوط وتدعو إلى اليأس ويحملون الشباب مسئولية كل ما في حياتهم من لبس أو خطأ ، مع أن الشباب شأنهم شأن غيرهم ممن يتعهدون بالتربية يحتاجون إلى عناية ورعاية ، ووجهة نظر هؤلاء الذين يحملون الشباب مسئولية بعدهم عن الدين أو مسئولية فهمهم الخاطيء للدين ومفاهيمه .. لا تلقى قبولا لدى بعض المسلمين المهتمين بهذا الأمر ويدور الحوار أو الجدل حول تحديد من المخطيء ومن المسئول والشباب في الجامعة فريسة لتيارات الإلحاد والتمزيق بل والتنصير . وإذا كان بعض أعضاء الحركة الإسلامية يقومون بواجبهم - قدر طاقتهم - في هذا الصدد فإن كثيراً من

الجهود لا تزال تضيع إغراقاً في اللوم وجرياً وراء نظريات نفسية صنعها الغرب في بلادهم وصدروها لنا وهي لا تصلح لأن طبيعة الدين الإسلامى تختلف في طريقة التربية. ووسائلها وغاياتها فيمن تربى من أبناء المسلمين ، فهل يفر هذا الوقت الضائع في التنحية باللوم على شبابنا ليتكاتف مع الوقت المبذول في تربية شبابنا وتوجيهه ، ليصنع خطة متكاملة لإنقاذ هذه الطاقة من أبناء الإسلام . ولتتمكننا بهذا التعاون من صنع غد مشرق إن شاء الله يحمل فيه هذا الشباب الراية والمشعل إلى أهل الأرض كافة ؟

فنأمل ذلك ونتمنى والله الهادى « ولينصرن الله من ينصره » ..

ثم ماذا ؟

وإذا تجاوزنا هذه الجوانب التى يضيع فيها الوقت .. وهو أئمن من هذا وجدنا إلى جانبها — كجوانب فى غالب أحيائها فكرية ونظرية — جوانب أخرى يغلب عليها الطابع العملى وإن كان الفرق والفصل هنا يبدو (متعسفاً) ، فهناك الوقت الضائع فى خلاف المسلمين حول عدد الأذان وطريقة أدائه ، وهناك الخلاف الدائر حول الإصلاح أياكون الإصلاح جملة وفى أسرع وقت ممكن أم يكون تدريجياً وحسب الإمكان والطاقة ما دام الإخلاص موجوداً والمحاولة مستمرة . وهناك الخلاف حول فهم بعض المسلمين للسنة النبوية ومدى ضرورة التزامنا بها .

ولا نريد بهذا أن ندخل التهاون إلى القلوب. ولا أن ندعو إلى التساهل والتفريط ولكننا نرى أن تلك أمور لا تستحق. ولا يجب أن يضيع من أجلها وقت يبذل فى الحوار أو الجدل فى الأخذ والرد ، فى الاتهام والتبرئة ، لأنه لا يضير المسلمين اليوم أن يؤذن أذان واحد ما دام الصوت يبلغ المصلين والمدعوين إلى الصلاة ، ولا يضيرهم أيضاً أن يؤذن أذانان اثنان من باب الدعوة والدعوة إلى الصلاة ، ولكل من أصحاب النظريتين السابقتين دليله وحيثه ، ولكن علام الخلاف ما دمنا نتفق على شرعية الأذان وضرورة أدائه مثلاً ، ثم علام الخلاف فى طريقة الأداء إلى حد يتهم بعضنا فيه بعضاً

بالبعد عن الإسلام والحرب ضده ، والأمر يا قوم لم يبلغ ولن يبلغ إن شاء الله بنا هذا المبلغ .

ثم أيضاً لماذا نضيع وقتاً في اللوم والتوبيخ لمن يترك سنة من سنن الرسول مع أننا نعلم أن هناك نوعين من السنة ؛ سنة تشريعية وهذه قيمتها من مصادر التشريع معلومة لنا ويجب أن تعلم ، وسنة غير تشريعية وهي ما يتصل بسلوكه الشخصي وعاداته وسلوكه ، وهذا نحن مطالبون فيه بأن نتبع ما أمكن لنحظى بالثواب ، ولكن هذا لا يدعو بعضنا إلى أن يكفر من يترك سنة بل خير من هذا أن نرغب هذا التارك للسنة وأن نغرس في نفسه حبها والاقتناع بها لكننا نضيع الوقت في الاتهام والتشهير ونعتبر هذه قضيتنا الآن وسط تحديات عصرنا وظروفنا ، أولى لنا فأولى أن ندرك أين تنفق الوقت وفيه يكون .

كذلك فإن الخلاف في طريقة الإصلاح لا يعني تهاون الذين يصاحون ما أمكنهم ويكسبون كل يوم ولو شبراً إذ يرون أن هذا خير وخير من أن نقف نقسم إما الإصلاح الشامل في كل المرافق وفي لحظة واحدة وإما الرفض وإعلان التمرد إذ ماذا تكسب من الوقوف ولو ألف عام في سخط ورفض .

ولا يستحق هذا أن يضيع أصحاب وجهة النظر الأخرى وقتاً في ذم هؤلاء ومنهجهم إذ نحن في النهاية مسلمون نأخذ معاً أو يجب أن نأخذ من كتاب الله وسنة رسوله وهنا تبرز أهمية المصادر الإسلامية لثقافتنا وضرورة الرجوع إليها إذ في هذا كبير غناء وعظيم توجيه لنا ، إذ سوف نجد فيها الرأي ومخالفه يختلفان في أدب ، ولا يجرؤ أحد من الطرفين أن يلقي بالآخر في ساحة غير الإسلام — هذا باستثناء بعض المتطرفين في المجالات الكلامية .

وما أظن الأمر يحتاج إلى أن تذكر أن المستفيدين من كل هذا الوقت الضائع هم من خططوا لهذا الضياع ، وأن الحركة الإسلامية تحتاج كل لحظة وكل خطوة لتتضام هذه اللحظات فتصنع غدها المشرق إن شاء الله وتتكاثر هذه الخطوات لتصنع مسيرتها الناهضة الواعية الضاربة في كل صقع(*) وفي كل اتجاه لتقدم ما عندها من خير للناس كافة رحمة للعالمين وهداية للعرب والعجم على السواء .

* يعني : مكان

خاتمة :

لا يفوتني أن أؤكد أن الحاجة إلى هذه الجهود متضافرة ماسة وشديدة وأنه لا يليق بنا نحن المسلمين أن نكون الأداة التي يحركها غيرنا ليلهو، ونحصد نحن الخسرة والندامة . كما أؤكد أن الجوانب المتحاورية أو المتجادلة في كنف الإسلام لابد وأن تعيد حساباتها لأن الطبيعي أن نكون أمة واحدة لا أن تتفرق بنا السبيل ولا أن نعبد ذواتنا فيظن كل أنه الخير للحركة الإسلامية وأن ما عنده هو الحق وما عند غيره ضلال وإثم .

كذلك فإن الدافع إلى هذا التحاور أو التجادل : إذا كان حباً للإسلام ورغبة في نصرته ، فإن الأولى بنا أن نوحّد خطتنا لهذا الغرض ليسهل السير ويقرب الهدف .

وأيضاً فإنه ليس من خلق المسلم أن يتهم غيره بالتقصص عنه أو التخاذل ما لم يقيم على ذلك دليل واضح وحجة بينة ، وعليه فإن كل أطراف الحركة الإسلامية بحكم إعلانهم الولاء للحركة وللإسلام عليهم أن يتحملوا ما تفرضه طبيعة هذا الولاء عطاء وتسامحاً وأخذاً بالمنهج الإسلامي في الحوار والمناقشة .

وأخيراً فمع كل هذا تعيش الحركة الإسلامية اليوم وسط ظروفها الصعبة في مكانة تتطلع إليها الأنظار وترصد حركتها الاتجاهات المعادية ، فماذا لو جنبناها الوقت الضائع وكرسناه لتأصيل حياتنا الإسلامية وتوحيد خطواتها وخطتها على درب رسالتها إلى كل البشر ؟..

ثمن العدد في الوطن العربي :

لبنان ٤٠٠ ق.ل.	اليمن ٣٠ ريال	قطر ٧ ريال
سوريا ٣٥٠ ق.س.	السعودية ٦ ريال	ليبيا ٢٠٠ مليون
العراق ٣٥٠ فلس	مصر ٢٥٠ مليما	تونس ٥٠٠ مليون
الأردن ٣٠٠ فلس	السودان ٣٥ قرشا	الجزائر ١٠ دينار
الكويت ٥٠٠ فلس	البحرين ٤٠٠ فلس	المغرب ٥ درهم

الإمارات العربية ٧ دراهم



كافة الاشتراكات يتفق عليها راسا مع :
دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٨٥٧ كويت
هاتف ٤٣١٩٨٢ - برقا : دار بحوث

الانتماء السياسى للمسلم عودة إلى الأصول

د . محمد رضا محرم

على صفحات مجلة المسلم المعاصر تفجر حوار حول اليشار الإسلامى وحول حق المسلم فى الانتماء السياسى . وفى إطار ذلك الحوار اجتهدت فأبدت بعضاً من آرائى . وكان آخر ما قدمت دراسة نشرت فى العدد الخامس عشر من المجلة تحت عنوان « بل المسلمون يسار ويمين » . وقد تمثل رد الفعل تجاه دراستى هذه فى تعقيبات عدة نشر بعضها فى العدد السادس عشر . ومن بين هذه التعقيبات فإن مقال الأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى « ليس المسلمون يميناً ويساراً » هو الذى يستحق أن نعاود الوقوف معه ، وذلك لعدة أسباب :

أما السبب الأول فيتعلق بالموضوعية التى يتناول بها الأستاذ الفاضل القضايا التى يثور بشأنها الخلاف . وهذه الموضوعية تؤدى إلى استمرار الجدل بين سيادته وبين الآخرين بالتي هى أحسن . وبالتالي فإن فضيلة إسلامية ، وجهنا إليها الحق تبارك وتعالى وأمرنا بها فى شخص رسولنا الكريم ، تثبت فعاليتها فى حياتنا المعاصرة ، فهىء الشروط اللازمة لإمكانية قيام واستمرار حوار متحضر ، مهما بدت الأمور التى يثور حولها النقاش صعبة أو شائكة .

والسبب الثانى أن الأستاذ الكبير الدكتور وصفى يطرح فى كل ما يكتب حول القضايا المثارة وجهة نظر متكاملة ، أو هى تبدو كذلك . ولما كنت من

جانبى أحاول أن أقدم وجهة نظر ثانية ، أزعـم أنها تبدو معالجة هى الأخرى متكاملة فإن من طبائع الأشياء إذن أن تتمكن من الوصول إلى جوهر المسائل دون الحواشى والقشور . وهى النتيجة الأمل التى تجعل من استمرار وتطوير الحوار ضرورة وواجباً .

أما ثالث الأسباب فيتمثل فى كون الحوار الثنائى بينى وبين الدكتور وصنى - فى إطار الحوار العام الذى دار على صفحات المسلم المعاصر - يعود إلى ما قبل تعقيبه الأخير المشار إليه من قبل . فقالى المعنون « بل المسلمون يسار ويمين » هو فى حقيقته تعقيب لى على ملاحظات أبداها سيادته فى العدد الرابع عشر من مجلة المسلم المعاصر تحت عنوان « المسلمون وحق الانتماء السياسى » حول دراسة أخرى لى كان قد سبق نشرها تحت ذات العنوان فى العدد الثانى عشر من المجلة . وهذه الخصوصية قد تفتح الأبواب على سعة لاستمرار الحوار واتصاله وتطوره .

ولست أخفى على الأستاذ الجليل الدكتور وصنى ، كما لا أخفى على القراء أننى وقد عرضت وجهة نظرى فى مقالين ، كنت قد تصورت أنه ما عاد يبنى لدى المزيد النافع الذى أقدمه فى هذا الخصوص . وكان توقعى بعد أن عرض الدكتور وصنى وجهة نظره هو الآخر أن وجهتى النظر أصبحتا فى متناول المهتمين والمتابعين ، وأصبحت مسئولية كل منهم أن يقيس كلا منهما على الأخرى عسى أن يتبين الصواب فى أيهما . ولكن مقال الدكتور وصنى المنشور فى العدد السادس عشر من مجلة المسلم المعاصر تحت عنوان « ليس المسلمون يميناً ويساراً » جاء ليعد فى عمر الحوار . ذلك لأن سيادته حاول أن يقدم بعضاً من مجهوداته لاستعراض أصول المسائل القابضة وراء الخلاف الكبير القائم بينى وبينه ، كما عبر فى صدر مقاله الأخير . وقد كشف لى ذلك المقال عن التفاوتات المنهجية بينى وبينه فى تناول وتحليل المسائل والأفكار . كما كشف لى أيضاً أن قاموس المصطلحات والمفاهيم لدى سيادته لا يستقيم وفقاً لفهمى ، وربما وفقاً للصياغات المقبولة على أساس من العلم . ولما كنت موقناً أن خطأ الاختيارات المنهجية مثلها مثل تشوه المفاهيم والمصطلحات ،

يأتیان فی مقدمة العوائق التي تحول بین الفاعلية الكامنة فی المعطيات الإسلامية
وبین التأثير فی الواقع الإنسانی الذي نحياه ، فقد أصبح واجباً أن أبدی رأياً
فی مثل هذه القضايا ، عسى أن تزول بعض الأخطاء أو أن تصحح بعض
الأغلاط .

الانتماء السیاسی للمسلم حق وحرية

عندما عرضت مسألة الانتماء السیاسی للمسلم للمرة الأولى علی صفحات
مجلة المسلم المعاصر ، كان مجمل ما قدمت فی هذا الخصوص أن الاختیار السیاسی
حق للمسلم المعاصر ، كما أن حریته فی إتيان وممارسة هذا الاختیار مكفولة
إسلامياً ، طالما لا یترتب علی مثل هذا الاختیار خرق لأی من الضوابط الكلية
التي قدمها الإسلام وقام علی أساس منها . وهذا الحق ، وكذلك حرية ممارسته
يقومان كما أوضحت وقتئذ علی دعائم ثلاث حصرتها فی الخبرة العلمية بالتاریخ
الإسلامی بكل ما جوی من خلافات سیاسية وصراعات ، ثم الحق الشرعی فی
الاجتهاد ، وأخيراً الحق الحضاری فی استخدام لغة العصر ومقاييسه .

وعندما عقب الدكتور وصفي علی تصوراتي تلك فی العدد الرابع عشر
من المجلة ، اتخذ من إفهم الحق والحرية فی الإسلام أساساً یصل به إلى القول :
« إن حق الانتماء السیاسی هو واجب علی المسلم وتكلیف ملزم له ،
ولیس قدرة اختيارية إن شاء أتاها أو لم یأتها » .

وعن علاقة الحرية بإتيان هذا الحق وممارسته قال :

« ومن هنا كانت حرية الانتماء السیاسی — وغيرها من الحريات — تكلیف
وواجب لإدراك المصالح التي یعتبرها الشرع » .

وفی تعقیبی فی العدد الخامس عشر علی ذلك الإقرار النظری بحق وبحرية
الانتماء السیاسی للمسلم ، نهت إلى القيود والتحفظات بل والترهيب الذي

أبداه الدكتور وصفه حين تعلق الأمر بمعيشة هذا الحق وحرية ممارسته في المجتمع المعاصر ، إلى حد تصويره لتعدد الانتماءات السياسية في المجتمع المسلم المعاصر على أنه « يؤدي إلى تقسيم المسلمين إلى فرق ، وإلى فتنة عارمة في العقيدة ، وإلى خلافات جوهرية في التطبيق تهدد أصول الإسلام » . وهي نتيجة بدت من وجهة نظري مناقضة تماماً للمقدمات النظرية التي سبقت ، والتي تقر بالانتماء السياسي للمسلم كحق وحرية ، وتصوغ ذلك على أنه واجب وتكليف . ولم يسعني إلا أن أثبت وقتئذ أن مثل هذا التناقض ما هو إلا تعبير عن عجزنا عن نقل تصوراتنا من دنيا التجريد إلى دنيا الواقع ، وهو ما يحول بين التصورات الإسلامية الصحيحة وبين معاشة الواقع والتفاعل معه ، والتأثير فيه .

وفي مقاله المنشور في العدد السادس عشر من المسلم المعاصر ، حاول الدكتور وصفه أن يفند ما نسبته إلى سيادته من التناقض فقال :

: « والواقع أنه لا تناقض ... فإن حقه - أي حق المسلم - الواجب عليه في الانتماء السياسي : أي الانتماء السياسي إلى النظام الإسلامي - .. وما ننكره عليه : هو الانتماء السياسي لغير النظام الإسلامي أو للنظم التي تدعى الإسلام وتستند إلى عقائد زائفة » .

ورغم أن الصياغات الأخيرة فيها الكثير من الصرامة ، إلا أنها عاجزة عن إزالة التناقض الذي تم تسجيله من قبل . ولن أقف هنا عند الاستخدام التعميمي (أو الدارج) لبعض المصطلحات الواردة في هذه المقتبسات وفي مقدمتها مصطلح النظام الإسلامي ، فلذلك نصيبه من الإبانة والمناقشة والتحليل فيما بعد . ولكنني ألفت الأنظار إلى أن التناقض لا يقوم من مجرد كون الانتماء السياسي حقاً للمسلم ، ولكنه ينشأ عن كونه حرية . ذلك لأن جانب الحرية في ظاهرة الانتماء السياسي إنما هو الترجمة العملية لإمكان استخدام المسلم للحق الذي تقرر له . وهذه الحرية إنما تكون بغير معنى مع غياب تعدد الاختيارات . وهذه الاختيارات المتعددة - أيا كان مضمونها - لا يمكن أن تتواجد أصلاً في إطار مصادرات فكرية أو حضارية تختار للناس

ثم تفضل عليهم بحرية الموضوع لذلك الاختيار المشبوق ٧ . ومادام التناقض يقوم عند اعتبار جانب الحرية في الانتماء السياسي ، فقد كان الأولى بالدكتور وصفي وهو يحاول رفع التناقض الذي بدا لنا فيما كتبه ، أن لا يعود إلى التركيز على إقرار الحق ذاته ، ولكن أن يركز على كيفية ممارسة ذلك الحق ، حتى لا تصبح حرية الانتماء السياسي للمسلم تكليفاً ملزماً من واجبه أن يؤديه ، بينما يصبح انضمامه إلى حزب سياسي معاصر إما انتماء منه لغير الإسلام ، وإما فعلاً مداناً يؤدي إلى تقسيم المسلمين إلى فرق ، وإلى فتنة عارمة في العقيدة وإلى خلافات جوهرية في التطبيق تهدد أصول الإسلام ..

وقد كنت تصورت أن في إقرار الأستاذ الجليل الدكتور وصفي بحق المسلم وحرية في الانتماء السياسي إمكانية لإقامة قدر من الاتفاق - ولو على المستوى النظري - بيني وبين سيادته ، ولكنه انتهى في مقاله الأخير : « ليس المسلمون يميناً ويساراً » إلى نفي تلك الإمكانية ، وأكد أن بيننا خلافاً كبيراً في أصول المسائل المطروحة للحوار والبحث . وهو الأمر الذي تأكد لي أنا الآخر بعد استعراضى لذلك المقال الأخير الذي أنهاه سيادته بأقوال له عن الثبات والمرونة في الشريعة الإسلامية جاء فيها بعد إشارة إلى الضرورات الأساسية للإنسان من حفظ للنفس والنسل والجنس ونحو ذلك ما نصه : « فهذه الاحتياجات في ذاتها لا تتطور ، ولذلك فالأحكام الشرعية المتعلقة بها لا تتطور أيضاً . » أما أنواع الطعام وطريقة تناوله ونحو ذلك فهي مرنة تتطور حسب الظروف .

وهي نتيجة تبدو غريبة للغاية ، كما أنها تستعصى على أية محاولة للهضم العقلي ، بل ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنها مخيفة ، خاصة وأن القضايا المثارة كانت تبحث في تشكيل وتطوير النظام السياسي للدولة ، والترتيبات الاقتصادية لمواردها ، والتنظيمات الإدارية لدواوينها ، وعلاقات القوى الاجتماعية الفاعلة في حياتها ، وغيرها من الجوانب الكثيرة المعقدة التي تتفاعل مع بعضها لإقامة النظام العام للحياة في المجتمع المعاصر .

وأحب أن أثبت هنا ، أنى وقد فجأتني هذه الحاتمة ، فقد أعدت قراءتها أكثر من مرة باحثاً عن مؤشر آخر يحولنى عن فهمى هذا الذى ثمنيت مخلصاً أن أنجو منه ، فلم أجد غير مثال آخر لإمكانية التطوير يتعلق بالأمور التحسينية المرتبطة باداء فريضة الحج وتتمثل فى إمكانية السفر بالطائرة والنزول فى الفنادق واستخدام الأدوات المريحة .

وما دامت هذه هى حدود المرونة التى يراها الأستاذ الدكتور وصفى فى الشريعة الإسلامية ، وما دام جهد الإنسان المسلم لم تترك له مساحة يعمل فيها غير اختيار وتطوير أنواع الأطعمة والأشربة والتكايا والمطايا وما شابه ذلك ، فقد كان من التداعيات التلقائية لفهم كهذا أن يسكت سيادته عن أحد المحاور الرئيسية فيما كتبت ، والذى يدور حول كون النظام السياسى للدولة ، والتنظيم الإدارى ، والترتيبات الاقتصادية فيها ، وأنظمة الخدمات والتنمية الاجتماعية بها ، هى من الفروع والنوازل التى تقع تحت طائلة الاجتهاد ، ومترك لكل جيل من أجيال المسلمين أن يكتفيها وفقاً لمصالحه المرسلة وعرفه واستحسانه وحاجته إلى دفع الضرر أو رفع الحرج . بل إن سيادته لم يعلق على كل هذا بغير القول أنه لم يفهم عنى كلامى عن الاجتهاد والشورى وبالتالى فهو لم يحول رأيه عما أبداه بشأنهما فى كتاباته السابقة .

وهكذا يبدو جلياً أنى والدكتور وصفى يتحدث كل منا لغة غير لغة الآخر ، كما أن كلامنا يقف عند مستوى للحوار مخالف تماماً للمستوى الذى يقف عليه الآخر . وبالتالى فإنه لم يبق لى ولا لغيرى من المهتمين بمثل هذه القضايا غير خيار من ثلاثة : إما أن ينقطع الحوار ، وإما أن يستمر بكل هذه التفاوتات التى أشرنا إليها فىكون أشبه بما يسميه البعض « حوار الصم » ، وإما أن نخضع للمقتضيات العملية فتقبل بالرجوع بمستوى المناقشة إلى الوراء ، حيث نناقش الأوليات والأساسيات (الأصول) التى كان مفروضاً أننا قد تجاوزناها منذ زمن بعيد .

والاختيار الثالث هو فى حقيقة الأمر الممكن الوحيد . وذلك رغم أن

الأخذ به قد يؤدي بنا إلى أنماط من الجدل في الأساسيات الإسلامية تتجاوزها المسلمون منذ عدة قرون ، وربما منذ أربعة عشر قرناً هي العمر الكامل للإسلام على الأرض ، كما أنه قد يؤدي إلى إعادة عرض بعض من المسلمات التي استقرت في قاموس السياسة المعاصرة منذ عشرات إن لم يكن منذ مئات السنين . ولعله مما يشجعنا على ذلك أن ما قد يبذل من جهد في تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات ، إنما يكون بمثابة خدمة ثقافية أساسية لجمهير القراء ، فوق أنه قد يؤدي إلى توسعة التفاهم وضبط السلوك في المجتمع المسلم المعاصر .

من هو المسلم ؟ !

التعود على الشيء قد يسقط الكثير من ملاحظه ومميزاته عندما يبلغ حدود الإدمان . ويبدو أننا تعودنا على استخدام صفة المسلم بطريقة آلية إلى حد أن سؤالاً كهذا قد يفاجئنا .

ولأن الكتابات المتخصصة ، والكتابات السريعة قبلها ، عودتنا الإسراف في استخدام اللفظ دون التوقف عنده ، فقد أصبح اللفظ يعيش في قاموسنا اليومي ، ويسبح في وجداننا الديني ، مختلطاً بشحنة من الانفعالات النفسية كبيرة ، في حين أن التحديد المعنوي للفظ مثله مثل الدلالات الأصولية له قلما تشغلنا في لقاءاتنا المتكررة معه .

وكثيرون هم بغير شك أولئك الذين يستغلون استقرار اللفظ من أجل تمرير معاني كثيرة معه إلى أذهان الناس خلصة . وما كانت هذه المعاني لتمر لو حظي اللفظ بالقليل من التفحص لدلالاته الحقيقية أو الشرعية .

وقد حاول كثيرون أن يدللوا على إمكانية تصنيف المسلمين إلى يمينيين ويساريين انطلاقاً من تعريف اليساري واليميني في مصطلحات علوم السياسة المعاصرة . وقد ووجه هؤلاء بمقاومة عنيفة ترفض القبول بالمصطلحات ، وقد تمددوا نيتها إلى ضمائر واعتقادات أصحاب تلك المحاولات . وبالطبع فإن

تلك المقاومة تزداد عدوانية إذا كان الحديث ينحصر ذلك اليسار الذي تحمل
(رغم أنه) أوزار الماركسية كما يتصورها المقاومون والرافضون .

ولأننى لأزعم أن إثبات إمكانية تعدد الانتماءات السياسية للمسلمين تكون
أسهل لو بدأنا بالشق الأول من مصطلحات مثل « المسلم اليسارى » أو « المسلم
اليميني » ، أى لو بدأنا بتعريف « المسلم » .

ومن الثابت أن الإنسان يدخل الإسلام بإرادته فيصير مسلماً . والتكليف
فى الإسلام يشترط له البلوغ والعقل . ويعنى ذلك أن الانتساب إلى الإسلام
وحمل تكاليفه مسئولية فردية . وبالتالي فإن أحداً من الناس ليس بمستطيع
أن يخرج مسلماً بغير إرادته من إسلامه هذا .

إن القاعدة فى الإسلام أن شهادته أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
تعصم دم قائلها وأمواله إلا بحقها . وذلك تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم :
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت
به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »
ومن هنا فقد كانت غضبة رسول الله (ص) من أسامة بن زيد شديدة ،
وتوبيخه إياه موجعاً ، حين قتل الأخير - فى حرب مع المشركين - رجلاً
نطق بالشهادتين ، وظنه أسامه يخادعه لينجو بنفسه من القتل ليس إلا . وكان
سؤال الرسول (ص) الاستنكارى العنيف : « هلا شققت عن قلبه لتعرف
إن كان قالها أم لا ؟؟ » ، وقد كرر (ص) السؤال فى غضب حتى إن
أسامه رضى الله عنه ود وقتئذ لو أنه أسلم بعد هذه الواقعة لتغفر له . ومن هذا
القبيل أيضاً أن نفرأ من الصحابة مروا برجل من بنى سليم وهو يسوق غنماً
فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية وقتلوه واستاقوا غنمه (١) فنزل فيهم
قرآن يقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم
كثيرة » .

(١) جلال الدين المحلى ، وجلال الدين السيوطى ، تفسير الجليلين ، طبعة الشمرى
بمصر ، (١٣٧٣ هـ) ، ص ٧٧ ، تفسير الآية ٩٤ من سورة النساء .

ومحصلة ما تقدم ، ومثله كثير ، يوجزها الأستاذ حسن الهضيبي (١) في قوله : « وحكم الناطق بشهادتي : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن نعتبره مسلماً تجرى عليه أحكام المسلمين وليس لنا أن نبحث في مدى صدق شهادته . إذ أن ذلك متعلق بما استشعره واستيقنه بقلبه وهو أمر لا سبيل لنا للكشف عنه والتثبت منه ، ولكن من شأن الذي يعلم السر وأخفى . »

أما عن تصديق العمل (وهو ما قد نرى بعضه) لما وقر في القلب (وهو ما يراه الله) فذلك يدخل في باب الإيمان ، وهي درجة من التصديق الحكم فيها لله جل شأنه . فالإيمان مصطلح أعلى في مدلولاته الدينية الاعتقادية من الإسلام . وفي هذا الصدد نترك المجال لباحث عظيم قضى* منذ حوالي العشرة قرون هو أبو الفتح الشهرستاني ، وننقل من كتابه الشهير « الملل والنحل » قوله : « ففرق في التفسير بين الإسلام والإيمان . والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهراً ويشترك فيه المؤمن والمنافق . قال الله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ، ففرق التنزيل بينهما . فإذا كان الإسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهراً موضع الاشتراك ، فهو المبدأ . ثم إذا كان الإخلاص معه بأن يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقر عقداً بأن القدر خير به وشره من الله تعالى ، بمعنى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، كان مؤمناً حقاً . ثم إذا جمع بين الإسلام والتصديق ، وقرن المجاهدة بالمشاهدة ، وصار غيبه شهادة ، فهو الكمال . فكان الإسلام مبدأ ، والإيمان وسطاً ، والإحسان كمالاً ، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين : الناجي والهاالك (٢) . »

واستطرداً في هذا السبيل ، يمكن تأكيد أن العلم بإيمان الناس وكذلك تصنيفهم مراتب وفقاً للإيمان إنما هي سلطة ربانية وقدرة إلهية ، يختص الله بها

(١) حسن الهضيبي ، دعاة لا قضاة ، كتاب الدعوة ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، (١٩٧٧) ، ص ١٤ .

(٢) أبو الفتح الشهرستاني ، الملل والنحل ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع بالقاهرة ، (١٩٦٨) ، الجزء الأول ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(*) يعني : مات

ذاته العلية ، ومحجها عن سائر خلقه ، ومنعهم أن يزعموا لأنفسهم القدرة على إثباتها . ففي سورة النساء (الآية ٢٥) يقول جل شأنه : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض ... » . ومن هذا القبيل أيضاً ماورد في الآية العاشرة من سورة الممتحنة في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ... »

ففي هذه الآية الكريمة جاء علم الله بإيمان المهاجرات مطلقاً ، بينما يجي علم الذين آمنوا متوقفاً على امتحان أو سؤال منهم لهاتيك المهاجرات . وقد ورد في تفسير الجلالين أن هؤلاء المهاجرات يعتبرن مؤمنات بالسنتهن ، وأن الإمتحان يكون بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً في أزواجهن من الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين . أما علم الذين آمنوا فإنه يعنى الظن بعد الحلف أنهن مؤمنات (١) .

وحتى لا يتخذ البعض من مقولة أن المؤمن كيس فطن مدخلا لهدم بعض إن لم يكن كل ما تقدم ، فإن الأمر قد يقتضى الوقوف أمام ظاهرة النفاق كما واجهها الرسول الحكيم وكما عاجلها القرآن الكريم . ففي الفهم القرآنى لا فرق في الآخرة بين الكفر وبين النفاق . فالله تعالى يقول في سورة النساء : « إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً » . والقرآن يقرن بين الفريقين في أكثر من موضع قرآنى خاصة إذا ما انصرف الحديث إلى الثواب والعقاب والجزاء والتقويم في الآخرة . أما في الحياة الدنيا فالأمر مختلف تماماً . فبينما كان الرسول يجاهد المشركين بالسيف كان عليه السلام يجاهد المنافقين بالحجة ، رغم أنه قد أمر أن يجاهد الكفار والمنافقين جميعاً وأن يغلظ عليهم . لذلك لم يكن غريباً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤثر عنه أنه قتل منافقاً بل إنه منع من حاول قتل أحد المنافقين حتى « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . ورغم أن الحق تبارك وتعالى أبلغه أسماء المنافقين من أهل المدينة فإنه صلوات الله وسلامه عليه لم يهدر دم أحد منهم . وقد صلى عليه السلام على رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وهو الوحيد بين طابور المنافقين

(١) المحل والسيوطى ، تفسير الجلالين ، مرجع سابق ، ص . ٤٦٧

الذى تحدت صفته في القرآن لأنه صاحب القولة الشهيرة في غزوة بني المصطلق « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، والتي نزل بشأنها قوله تعالى في الآية الثامنة من سورة المنافقين : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه راجعه (ص) في شأن صلاته تلك وذكر له قول الله تعالى في الآية الثمانين من سورة التوبة : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم .. » قال له الرسول (ص) : « لقد بخيرني ربى » ، وأختار الصلاة . وكان أن نزل قوله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » .

فإذا أضفنا إلى ذلك قبول الرسول (ص) افتتاح مسجد الضرار وإقامة الصلاة فيه رغم علمه بتزعم المنافقين لعملية البناء ، وأنه ما هدم المسجد وحرقه إلا بعد ما نزل من القرآن بشأنه ، لأدركنا أن الرسول البشر ما كان يصدر أحكامه على الناس إلا بالظاهر ، أما ما يتعلق بالسرائر فقد كان يكله إلى الله . فإن جاءه وحى بشأن الباطن عمل به ، وإن لم يجيء حفظ على الناس دماءهم وأموالهم وكافة حقوقهم بما نطقوا من الشهادتين .

والخلاصة إذن أن الإنسان يظل على إسلامه ما لم يخلعه بإرادته بقول صريح أو بفعل مجاهر من تكلم الأقوال والأفعال التي حددها الله عز وجل ، ووضحها الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتي تدل على إنكار ما هو من الدين بالضرورة ، والتي لا حق لنا كمسلمين أو كبشر أن نزيد أو ننقص فيها . وحتى لو قام في داخلنا شك في البعض أو سوء ظن في البعض الآخر فليس يحق لنا أن نطاردهم لإخراجهم من الساحة الإسلامية ، ولا أن نتهمهم ، ولا أن نتبادل اللعان معهم ، ولا أن نقاتلهم . ذلك لأن « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، وأن « من رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله » كما قال الرسول الكريم كما أنه « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء به — بالإثم أو بالإثم — أحدهما » ، وقد ترك الرسول (ص) الإثم معلقاً على رأس المسلم المخطئ منهما

متهماً كان (بفتح الهاء) أو متهماً (بكسر الهاء) ، بل إنه (ص) يرد التهمة على قائلها في مواضع أخرى حيث يروى عنه أنه قال « من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (١) » .

فإذا وصلنا إلى قضية المسلم اليسارى (والمسلم اليميني أيضاً) ، ففي مقدورنا الآن أن نتبين أن الصفة السياسية إنما هي اختيار حياتى ارتأه الإنسان المسلم المعاصر صالحاً وارتضاه لنفسه . أما صفة « المسلم » فإنها لاصقة به لا يملك أحد من البشر الحق أو السلطة فى أن ينازعه إياها أو أن يخلعها عنه وهو غير راض . وما دام أحد لا يستطيع أن ينفى عنه صفة « المسلم » أو أن يحرمه منها ، فسوف يبقى مسلماً شاء هذا الأخذ أم أبى ، اتجه يميناً أو اتجه يساراً ، ما دام هذا الاتجاه لا يلزم أن يترتب عليه إنكار ما هو من الدين بالضرورة . ووفقاً لاختياره السياسى ، وموقفه من قضايا مجتمعه ، وانحيازه بشأن مطالب مواطنيه ، فإنه سوف يضيف إلى صفة المسلم الأصلية صفة سياسية لاحقة وبالتالي سوف يكون مسلماً يمينياً ، أو مسلماً يسارياً ، أو مسلماً وسطاً ، أو غير ذلك من التصنيفات السياسية التى ابتدعها العصر وتعارف عليها المعاصرون .

ولعل فيما تقدم التعقيب الكافى على ما ورد فى كتابات الأستاذ الجليل الدكتور وصفى « وكتابات كثيرة مشابهة » حول استحالة أن يكون المسلم يمينياً أو يسارياً ، أو حول اعتبار الخلاف بين المسلمين على اليسارية واليمينية انحرافاً فى العقيدة

اليسار المسلم واليسار الإسلامى

عندما يشتد الصراع الاجتماعى فى بلد ما من بلاد المسلمين ، ويحدث ذلك كثيراً ، لا تعدم السلطة الحاكمة أن تجد من تخرجه إلى الناس ليتحدث

(١) كل الأحاديث فى هذه الفقرة ، وردت فى صحيح البخارى ، المجلد الثالث ، الجزء الثامن ، باب (الأدب) ، طبعة دار الشعب بالقاهرة .

عن الإسلام كدين للرحمة بقصد تجسيد ذلك الصراع المستعر ، والتحفظ عليه ، ومصادرة العناصر الدينامية فيه . ومقولة أن الإسلام دين رحمة ينفي العنف حين ممارسة الصراع الاجتماعي هي بغير شك مقولة صحيحة . ولكن شرط صحتها أن يقوم المجتمع الإسلامي أولاً . ولأن ذلك المجتمع إنما يؤسس على العدل فإنه لا العنف يصبح ضرورياً كأداة للتثوير أو التطوير أو التغيير في المجتمع يلجأ إليها المظلومون ، ولا القبول به يصبح مبرراً إذا ما لجأ إليه غير هؤلاء المظلومين . وبالتالي فإن المغالطة في مثل تلك المقولات السابقة إنما تنشأ عن تحكيم قيم الرحمة ونفي الصراع التي تسود في مجتمع العدل الإسلامي على مجتمعات فيها من الظلم الكثير الذي يبعدها عن الإسلام ٥

والمثال السابق يكشف عن مسالك خاطئة نظرناها. نحن المسلمين المعاصرين ونحن نواجه مشكلاتنا الحياتية المتجددة والمعقدة . فنحن نستدعي القيم التصورية الإسلامية لنخلعها على مجتمعات تفتقد إلى الأسس الحياتية (سياسية واقتصادية واجتماعية) التي يمكن أن تستوعب هذه القيم .

والحلل القيمي والاجتماعي إذا وجد في مجتمع ما ، فإنه ينشأ عنه نقص في استقرار ذلك المجتمع . وينعكس ذلك تفاوتاً في فهم القضايا الحياتية أو توزيعاً للناس فرقاً وجماعات وأحزاباً يسعى كل منها لتعديل الأوضاع ، وتحقيق الاستقرار ، وإقامة التوازن العادل بين فئات المجتمع وقواه . وهذا السعي يمكن أن يكون جاداً ، كما يمكن أن يكون عنيفاً ، وفقاً لدرجات التطور الاجتماعي ، ووفقاً لقدرة الديمقراطية المتاحة للقوى السياسية والاجتماعية لممارسة العمل من أجل مطالبها وأهدافها . وإذا كان الحلل الاجتماعي والقيمي يفتح الباب للانتماء السياسي ، فإنه يكون من باب الاعتساف أن يتم تحكيم القيم السلوكية لمجتمعات التوازن في مجتمعات القلق ، لننتهي إلى نفي حق القوى السياسية والاجتماعية في ممارسة العمل السياسي وفقاً لتعدد الرؤى والتصورات :

ولعل أخطر ما تفرزه هذه المسالك والتحركات الخاطئة أن يبدو الدين من مواقف هؤلاء المدافعين عن الواقع المتخلف الظالم كما لو كان يقبل بذلك

الواقع ويبرره ، إن لم يكن يباركه ، أو كما لو كان يجرم المشاركين في العمل السياسي — بكل ما يكتنفه من خلافات وصراعات — والعاملين من أجل تغيير الظلم وإقامة العدل في المجتمع . وهي جميعها نتائج ظالمة تحمل الدين ما يتعارض وطبيعته الجوهرية المتمثلة في العدل والكرامة الإنسانية .

ومع الأسف الشديد ، فإن موقف البعض من مسألة الانتماء السياسي للمسلمين يحمل في طياته صوراً من ذلك التناقض الذي أشرنا إليه سابقاً . بل إن الأمر قد ينتقل من حمل التناقضات العنصرية إلى حمل المغالطات المتعمدة والتناقضات العنصرية تنشأ عن اعتماد التصورات الذهنية المجردة والمنفصلة عن الواقع في أغلب الأحيان ، كما تنشأ عن الجذب الآلي لصور وسلوكيات وضوابط العمل السياسي في مجتمعات الإسلام المبكرة ، في عهود الرسول الكريم والخلفاء الراشدين ، ومحاولة خلعها قسراً على مجتمعاتنا المعاصرة . أما المغالطات المتعمدة فإنها تولد عادة عن التعصب السياسي لحركة إسلامية — أو تنسب نفسها إلى الإسلام — بعينها ، مما يؤدي إلى الرفض الكامل لغيرها من الحركات السياسية في المجتمع ، إسلامية المنطلق والشعارات كانت أو غير إسلامية . والذين يقفون مثل هذا الموقف إنما ينقلون — بوعي أو بغير وعي —

تركهم التراثية والتاريخية حول الفرقة الوحيدة الناجية ، والتي يقابلها الهلاك

المؤكد لبقية الفرق ، ويتعاملون على أساسها مع المجتمع المعاصر . ومادام هذا

هو المنطلق والاختيار فإن مصادرة حقوق الآخرين في الانتماء وفي العمل السياسي تصبح مؤكدة ونهائية وغير قابلة للنقض . وهذا التشوه المنهجي في فكر البعض يصعب تقويمه ، كما يصعب التفاهم في وجوده مع هؤلاء البعض ، إن لم يصبح مستحيلاً . ومن هنا فإننا نكتفي فقط بتسجيل ذلك التسلط الفكري الذي يسيطر على هؤلاء ، ثم ندعهم وشأنهم ، ونتركهم لفعل العملية التراكمية للتاريخ ، فهي الوسيلة الوحيدة لتصفيتهم .

ومباشرة العمل السياسي في واقع مجتمعات المسلمين المعاصرة ، يمكن رصدها وتحليلها واكتشاف قواعدها وضوابطها على مستويين . أولهما المستوى العام ، وثانيهما المستوى الخاص .

وفي المستوى الأول العلم فإن أحزاباً كثيرة تقوم - وسوف تقوم - بممارسة العمل السياسى فى المجتمع . والمسلمون بوصفهم الكثرة الكاثرة من مواطنى هذه المجتمعات التى تنسب إلى الإسلام مدعوون بدوافع دينية أو وطنية أو اجتماعية لتحقيق انتماءاتهم السياسية والعمل من أجل المصلحة العامة داخل هذه الأحزاب . وهذا الوجود الحزبى واقع معاصر لا يمكن تجاهله أو تجاوزه لأنه من مقتضيات الديمقراطية ومن مقتضيات السلام الاجتماعى فى المجتمعات المعاصرة .

وهذه الأحزاب العصرية قد تكون أحزاباً أيديولوجية أو أحزاب برامج والفارق الأساسى بين هذين النوعين من الأحزاب أن ثانيهما يشغل نفسه بالإجراءات العملية اللازمة لتحقيق المواجهة المرحلية للمشكلات التى يعانى منها المجتمع ، بينما ينحو أولهما إلى تأصيل نظرى لممارساته وأهدافه ومنطلقاته . وفى هذا التأصيل يقوم الحزب العقائدى بالبحث والتنقيب وراء الجذور التى تنشأ عنها المشكلات ، كما يقوم بتحليل القوى الاجتماعية الفاعلة فى المجتمع وتوصيفها وتصنيفها ، كما يجتهد منظرو الحزب العقائدى للوصول إلى تصور لميكانيكية عملية التغيير الاجتماعى . وفى النهاية فإن الحزب العقائدى يطرح عادة رؤية استراتيجية لعملية التغيير ، كمقابل للمرحلية العملية (البراجماتية) التى تميز أفعال وتصورات أحزاب البرامج .

أما فى المستوى الثانى الخاص ، فإنه من الممكن أن تقوم فى المجتمع إلى جانب الأحزاب العامة أحزاب ذات طبيعة خاصة ومن ذلك النوع تلك الأحزاب التى تصبغ اختياراتها وتصرفاتها وتصوراتها بالصبغة الدينية . وفى مجتمعات المسلمين فإن هذه الأحزاب يمكن إدراجها فى إطار ما اصطلاح على تسميته « الحركة الإسلامية » . وفى حالة التعدد داخل هذه الحركة ، وهو الأمر المنطقى ، فإن تصورات متعددة للمشكلات المعاشية التى تعرض للمسلمين سوف تفرض نفسها . وهذا التعدد ينشأ عن تنوع الفهم للمعطيات الإسلامية الأساسية ، كما ينشأ أيضاً عن مدى الوعى بالواقع الحياتى لمجتمعات المسلمين المعاصرة . وهذا الوعى يتجسد فى القدرة على إقامة المزاوجة وإحداث التفاعل بين عناصر هذا الواقع وبين العناصر التراثية الصحيحة .

والمسلم إذ يختار العمل على المستوى الأول العام ، يبقى على إسلامه ،
ما دام اختياره لا يحارب الدين الإسلامي ، ولا ينكر ما هو منه بالضرورة ..
وإذا اختار هذا المسلم أيّاً من أجنحة التقدم في الحركة السياسية فإنه يكون
يتأري الاختيار . وهذا اليساري الذي لا يؤنس انتماءه السياسي على مناقضة
للمبادئ والأركان الإسلامية هو « اليساري المسلم » ، والتيار الذي يعمل
في إطاره (أو التيارات) هو بغير شك « يسار مسلم » . وصفة الإسلام هنا
تجري بمعناها العام المتمثل في الاعتقاد بالله خالقاً وبمحمد (ص) رسولا .

وفي صياغة معاصرة فإن « الإسلامية » هنا إنما تنصرف إلى توصيف الحالة
المدنية (من ناحية الاعتقاد) للأفراد المنتمين إلى حركات اليسار السياسي .
أما إذا انصرفت صفة « الإسلامية » إلى توصيف منهج أو مناهج العمل
الاجتماعي للجماعة أو الجماعات ، فإننا ننتقل من المستوى الأول العام إلى
المستوى الثاني الخاص من مستويات العمل السياسي . وجناح الثورة والتقدم
داخل الحركة الإسلامية ، إذ من يعمل في هذا المستوى ، إنما يعمل ضمن
ما يمكن أن نسميه « اليسار الإسلامي » . وتيارات الاستنارة والتجديد والإحياء
مثلها مثل تيارات التطوير والتثوير ، هي الأخرى أجنحة من ذلك التيار العام
الواسع ، تيار « اليسار الإسلامي » .

واليسار الديني (الإسلامي) يتميز عن كافة اتجاهات اليسار وتياراته ،
إن لم يكن يمتاز عليها جميعاً ، بأنه يبدأ بمعطيات الدين ، ويستهدى بتوجيهاته ،
ويستهدف قيمه ومثله ، ويعتمد ضوابطه ومقاييسه . وهذه « الواجهة »
الإسلامية لا تعني في ذات الوقت ، أن صفة التدين ، أو الالتزام بقيم الدين ،
تسقط عن البقية الباقية من الاتجاهات والتيارات اليسارية ، أو أنها حكر لتيار
اليسار الإسلامي . ولكنها تعني على وجه التحديد التزام هذا التيار الأخير
بتوظيف مناهج الدين واستخدام أدواته - ما صلبحت لذلك - لتحليل
الظاهرة الاجتماعية ومواجهتها ، كما تعني رجوعه المستمر إلى موازين الدين
وبقواعده التقويمية للحكم على صلاحية العمل الجماعي ، وضوابه ، وجدوى
الاستمرار فيه . وهذا اليسار الإسلامي وإن كان يبدأ بمعطيات الدين ، ويحزب

على الحركة في إطار الدائرة الدينية ، فإنه في الوقت نفسه لا يتردد عن الاستفادة من معطيات العصر ، وأدواته ، ومناهجه ، وخبراته ، سواء بأثر رجعي لإعادة تعديل وتركيب مناهجه الفكرية الذاتية ، أو بناء على تصور مستقبلي لإعادة تحليل الظاهرة الاجتماعية وحلها ، كما أنه يحرص على استمرارية الحوار المنهجي والموضوعي مع كافة التيارات الفكرية يسارية كانت أو غير يسارية ، ولا يعتبر نفسه في خصوصية مقدسة أو أبدية مع أي تيار سياسي لمجرد تميز هذا التيار تنظيمياً عنه (١) .

إن التفهم الموضوعي للتحليل السابق ، مع الإقرار بأن ضمير المسلم منطقة حرام لا يجوز تسورها أو التلصص عليها ، يفرضان علينا أن نقبل بوجود بمن إسلامي ويسار إسلامي داخل الحركة الإسلامية . مع التأكيد الدائم على أن الخلاف الحقيقي بين اليمين وبين اليسار في الفكر الديني ، قد تجاوز تاريخياً مرحلة إضاعة الجهد في سفسطات كلامية أو مساجلات فلسفية شكلية تتعلق بالعقائد الدينية التي هي موضع تسليم كما هي موضع احترام من هذه الأطراف كافة . فقد فرض الواقع المعاصر ، بثقل المشاكل الاجتماعية الرهيب ، أن يدور الخلاف أساساً حول مسائل المعاش ، وأن يركز الجهد والاجتهاد لتحقيق مصالح العباد . ومن هنا فإن المراهنة المعاصرة بين المجددين وبين المحافظين ، أو بين المستنيرين وبين الرجعيين ، أو بين اليساريين وبين اليمينيين ، أصبحت تجري على أمور الشريعة وقضايا التشريع (٢) . وهي الأمور والقضايا التي ترك أغلبها لاجتهاد واختيار وفاعلية واستحسان المسلمين ، بينما تحدد أقلها بالنصوص الدينية القطعية الورود والدلالة .

ولو عدنا إلى كتابات الدكتور وصفى حول قضية الانتماء السياسي للمسلم فإن أول ما يتبين لنا أن سيادته لا يناقشها في المستوى الأول العام ، بل إنني أكاد أؤكد أنه ينكر وجود مشكلة انتماء سياسي للمسلم على هذا المستوى العام ،

(١) محمد رضا محرم ، الصواب والخطأ في مسألة اليسار الديني ، مجلة الطليعة القاهرية ، مارس ١٩٧٧ ، ص ١٠٣ (بتصرف) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

إذ هو يرفض مسبقاً أن يكون للمسلم المعاصر الحق في الانتماء أو العمل داخل الأحزاب السياسية المعروفة في المجتمعات المعاصرة . وهو ما عبر سيادته عنه بأن التكليف الواجب على المسلم أن ينتمى إلى ما أسماه النظام الإسلامى ، وأن الانتماء إلى الأحزاب الأخرى إنما هو أمر منكر لا يجوز للمسلم إتيانه لأنه ينشأ عن الأخذ بعقائد زائفة لا يقرها الإسلام .

أما في المستوى الثانى ، مستوى الحركة (أو الحركات) الإسلامية ، فإن الدكتور وصفى يقبل بمشاركة الإنسان المسلم في العمل السياسى ولكن سيادته يبدو منحازاً إلى الفكرة الموروثة التى تدور حول « وحدانية الحركة الإسلامية » ، كما أنه يرفض التعدد داخل هذه الحركة ، وينكر إمكانية تعدد المفاهيم السياسية والاختيارات الاجتماعية في داخلها . ودليل ذلك أنه يسكت عن جانب الحرية في مسألة الانتماء السياسى ، كما أنه يضيق المساحة التى يتاح للجهد البشرى الإسلامى أن يمارس فيها الاجتهاد والتجديد في مجالات الفكر الإسلامى والشريعة الإسلامية ، ولا يتردد أن يرى في هذا كله فتحاً لأسباب الخلاف في العقيدة بما يؤدي إلى دمار المجتمع المسلم . يضاف إلى ذلك أن سيادته سريع الاستدعاء لظواهر الحياة السياسية في مجتمعات المسلمين الأولى ليحكم بها (أو ليدين بها) ظواهر الحياة السياسية في المجتمعات المعاصرة ، دون أن يأخذ في الاعتبار الظروف الموضوعية التى أحاطت بهذه الظواهر أو بتلك ، وكأن لسان حاله يقول لنا أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئاً ، وأن النقل الذى يقبل به المسلمون جميعاً في مجالات العقائد والعبادات يتحتم فرضه عليهم أيضاً في مسائل المعاش ، وفي دنيا الخبرات الحياتية القمحة .

وربما بسبب هذه الفروق الجوهرية بين منهجية الدكتور وصفى وبين منهجى في مواجهة مسألة الانتماء السياسى للمسلم ، يبدو الخلاف كبيراً بينى وبين سيادته فيما يطرحه كل منا من تصورات حول الكيفية التى يمكن أن يعيش بها المسلم المعاصر حياة سياسية سوية ، وهى حياة لست أحسبها تقوم أو تستوى ما لم يرجح أخذنا من حاضرتنا وخبرات عصرنا أخذنا عن ماضينا .

اليسار والاشتراكية والماركسية

لا يكاد يقوم حوار حول السياسة المعاصرة وكيفية ممارسة المسلم المعاصر لهذه السياسة حتى يتحول الحديث - عنوة أو اختياراً - إلى الرأسمالية والشيوعية والتبعية الفكرية والغزو الفكرى وغيرها من القضايا المحنطة التى كان واجبا علينا أن نتجاوز ظواهر الارتباط الطفولى بها - حباً أو بغضاً - منذ زمن طويل .

وهذا الالتواء بالحوار إلى مسارب جانبية ، إنما يدل - فى أحسن الفروض وأخلص النوايا - على تقدير متدنئ وغير كريم لقدرة الإنسان المسلم المعاصر على الاستقلال الفكرى ، والإدراك العقلى ، والممارسة المسئولة لمتطلبات العمل السياسى فى المجتمع المعاصر . فالمسلم فى هذا المنظور لا يسعى مستقلاً وبارادته نحو تحقيق وجوده السياسى والاجتماعى فى مجتمع اليوم ، بما تقتضيه مصالحه وحاجاته وتكاليف الشريعة التى ينتسب إليها والتى توجب عليه أن يكون مسلماً قوياً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعمل من أجل إقامة الأول وتغيير الثانى ، ولكنه على العكس من ذلك كله كائن فاقد الإرادة ، تابع الاختيار ، أجنبى الانتماء ، عميل العقل . وللأسف الشديد فإن المنطق الداخلى لهذا التصور للمسلم المعاصر هو نفس المنطق العدوانى لأجهزة الأمن فى النظم الظالمة والمتخلفة التى تصور كل حركة وطنية (مدنية أو دينية) تعمل من أجل تطوير وتحديث المجتمع وإقامة العدل ومعالجة الأخطاء والانحرافات فيه بأنها عمالة لقوى أجنبية ، واستيراد لأفكار ونظم غريبة عن المجتمع . ثم إن هذا الالتواء بالحوار يدل فى تصور آخر على نزوع البعض من المفكرين وقادة الرأى - أو من يفترض أنهم كذلك - إلى إقامة نصب التخويف (خيالات المآلة - نواطير الحقل) فى وجه الساعين من المسلمين المعاصرين نحو تطوير وتحديث النظم والحيوات السياسية فى مجتمعاتهم . . . والتكرار العصبى لهذا التخويف - مثله مثل الإصرار الديمالونجى على تجاوز العناصر الفكرية والموضوعية فى القضايا والمسائل المثارة إلى الجوانب الدعائية فيها - إنما يدل على عمد من جانب البعض لنقل الحوار الدائر إلى غير الأرض

التي بدأ عليها بقصد تغييب الجوهر الأصيل لهذه القضايا والمسائل ، ثم فرض الخضوع القهري — القائم على شراء السلامة بالسكوت — على الأطراف الأخرى المشاركة في الحوار .

وإذا انصرف الحديث إلى الاختيارات السياسية التي تعمل على التقدم ومع استشراق العدل الاجتماعي ، مما يفتح الباب لمناقشة الانتماء إلى تيارات اليسار السياسي ، فإن ردود الفعل تكون أكثر حدة ، والجنوح بالحوار إلى غير ما قصد منه يكون أكثر عنفاً . ولما كانت أوزار الماركسية — كما يتصورها البعض — وفيرة وصارخة ، فإن مجرد إقحامها في الحوار قد يكون فيه من الردع الكفاية . فإن بدا أن غير الليب لم يفهم بالإشارة ، فليس هناك حرج بحول دون الاتهام المباشر باعتماد المعطيات الماركسية ، تصوراً أو منهجاً ، أو حتى لغة وصياغة . وفي هذا الصدد فإن خلطاً كثيراً متعمداً بين اليسار وبين الاشتراكية وبين الماركسية تتوفر له الفرص عن سعة ليقوم ويستبد بحو الحوار .

لقد حفظ الكثيرون عن الرسول (ص) قوله « الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أولى بها » . وحفظ هؤلاء أيضاً عن الإمام بن القيم في إعلام الموقعين أنه : « إذا ظهرت إمارات الحق ، وقامت أدلة العدل ، وأسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره » . ولكن هؤلاء جميعاً يدينون كل أنماط الحكمة التي تمخضت عنها خبرات العصر لمواجهة مشكلة الظلم الاجتماعي وإقامة العدل بدلاً منه . بل إنهم قد يتجرؤون فيجرمون من يعتمد هذه الخبرات المعاصرة ، ويقفون ضده وضد العدل ذاته خاصة إذا ما بدا من هذه الخبرات لون يساري أو رائحة اشتراكية . وليس يشفع للضحايا أن يكون في التصورات اليسارية والوسائل الاشتراكية العلاج العلمي الأكيد — وقد يكون الوحيد — من الأمراض الاجتماعية المتنوعة التي تأخذ بنفاق المجتمع المعاصر . وإذا لم يكن الجو الثقافي العام السائد في المجتمع مهيناً لاعتبار اليسارية أو الاشتراكية تهمة كافية ، ففي الشيوعية بعد خلطها بهما ما يكفي وزيادة .

والمفكرون الذين حملوا على عاتقهم مهام البحث عن الدعوة إلى والعمل في سبيل العدالة الاجتماعية لم ينج أى منهم من مثل هذه الاتهامات ، إما بالتحامل وإما بالشبهة ، ما دام من المستحيل إقامة البيئة . فالأستاذ سيد قطب — وهو من يعرف الجميع — على سبيل المثال ، يبدو أنه كان لابد وأن يتحوط من ردود الفعل تجاه كتاباته الأولى عن الظلم الاجتماعى والعدالة الاجتماعية ، فإذا به فى تصديره لكتابه معركة الإسلام والرأسمالية يعلن : « فليقل من شاء كيف شاء ، من الطغاة المستغلين ، ومن رجال الدين المحترفين ، ومن الكتاب المرتزقين ، والصحفيين المأجورين ، إن الدعاة إلى إصلاح هذا الواقع الاجتماعى السىء ، شيوعيون ، أو خارجون على القانون ، أو خطرون على الأمن العام ، أو دعاة هدم وفوضى ، وليحاربوهم بكل الوسائل الجهنمية التى يملكها الطغاة فى كل زمان ومكان » . ثم ينتهى رحمه الله فى خاتمة صيحة النذير التى وجهها فى مدخل الكتاب بالقول : « من ذا الذى يستطيع أن يقول إن وضعاً اجتماعياً تلك ثماره المتعفنة الحبيثة يمكن أن يدوم ، مهما أقيمت له الأسناد المنتحلة من فتاوى المحترفين ، أو مقالات المرتزقة المأجورين أو عسف الطغاة المستغلين ... إنه عبث .. عبث ضائع .. عبث ضد طبائع الأشياء » . وقبل الأستاذ سيد قطب ومعه وبعده لم يكن الإمام محمد عبده بالأسعد حظاً ، ولا كان الدكتور طه حسين ، ولا الشيخ على عبد الرازق ، ولا الشيخ خالد محمد خالد ، ولا الدكتور محمد أحمد خلف الله ... إلخ . بل إن الصحابى الجليل أبا ذر الغفارى رضى الله عنه لم يسلم من الإدانة عندما أُرِخ له البعض من المعاصرين ورأى فى أعماله مشابهاً لبعض الدعاوى الاشتراكية فكتب عنه أنه كان أول اشتراكى فى الإسلام . فقد خرجت هيئة الفتوى المصرية وقتئذ تخطئه — أى أبا ذر — فى اتجاهه ، وتجرح بصره بالدين وإن كانت قد عادت فى مناسبة أخرى فأصدرت فتوى ثانية بصواب ذلك الاتجاه ، عندما تغيرت الظروف الأولى (١) .

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، دار الشروق ، (١٩٧٤) ، ص ٢٢٢ .

٢٣١ ، ٢٣٢ . مع ملاحظة أن إهداء الكتاب موقع من المؤلف بتاريخ مارس ١٩٥٤ م . ويغلب الظن أن للكتاب طبعة أسبق من ذلك لعل تاريخ صدورها (١٩٥١ م) .

وردود الفعل السريعة العنيفة تجاه القائلين بالعدل الاجتماعى والساعين اليه بما يصاحبها من خلط بغيض للمفاهيم السياسية ، تمثل بغير شك العائق الأكبر في وجه المحاولات الحادة للخروج بالإسلام وبالمقولات الإسلامية الصحيحة من عنق الزجاجة الذى تختنق فيه إلى الواقع الاجتماعى المعاصر ، لتلقحه عدلا ، وتغمره رخاء ، وتظله أمناً . قالاتهم الصريحة أو الضمنية بمجاراة الماركسية أو بالنسج على منوالها — على سبيل المثال — تخيف المستنيرين من غير أنصار هذه الماركسية ، بينما هى لا تمثل فى نظر أنصارها والمعتقدين بصحة معطياتها غير محاولات دعائية لا يأبه بها . والمحصلة المنطقية لمثل هذه المواقف أن كل محاولات التنوير أو التطوير أو التحديث ذات المنطلقات الإسلامية تتعرض للوأد الجاهل وهى لا تزال فى المهد ، مما يترتب عليه فقدان الإسلام للقوى الكاسحة القادرة دون غيرها على تمهيد الطريق المدخل له إلى الحياة المعاصرة بكل تعقيداتها وتلافيها الفكرية ، والأيدولوجية ، والتنظيمية . ولعله من الملفت للنظر ، أنه منذ عرف التنوير طريقه إلى الحياة المصرية (والعربية بوجه عام) منذ بدايات القرن التاسع عشر ، فإن دورة واحدة من دورات التقدم الفكرى (فى إطار الدائرة الدينية) لم تستمر بغير انكسار أو تراجع . وبالمقابل فإن جميع التيارات التى أعلن المتعصبون الحرب عليها كانت تتقدم ، بطيئة أو مسرعة ، إلى الأمام . وبينما كانت الحركات الإسلامية تخسر بعض الأرض التى تقف عليها ، كان الآخرون يكسبون من هذه الأرض المزيد . وما كان غير هذا يمكن أن يحدث ما دامت الإبداعات الفكرية والعملية المعاصرة جميعها تغوض فى أرض الواقع ، تمهدا ، وتفلاحها ، وتستعمل ، على أناسها ، بينما الإنجازات الإسلامية — إن كان ثمة إنجازات — وهى تبحث عن السلامة ، أو تحرص دون داع على الابتعاد عن تهم المشابهة للمدارس المعاصرة ، تنزع إلى التجريد ، ومخاصمة الواقع ، والتعالى عليه ، والانفصال عنه . وجميعها ظواهر سلبية ، يجب الخلاص منها ، وبطريقة جذرية ، إن كنا حقاً جادين فى تأكيد دور مستقبل الإسلام فى عالمنا المعاصر .

والأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى فى تعقيباته المختلفة حول مسألة

الانتماء السياسى للمسلم كان عف القلم ، دقيق العبارة . فهو لم يتهم ، ولم يجرّح ، ولم يجرّم . . . ولكن نقله للحوار إلى غير أرضه ، وتوسعه فى الحديث عن الرأسمالية والشيوعية والغزو الفكرى وما شابه ذلك ، كانا من الأمور التى دفعتنى إلى كتابة هذه الفقرات السابقة ، التى أرجو أن يغفر لى القراء ما بدا فيها من الطول . أما عن التداخل الذى بدا فى كتابات سيادته حول مصطلحات اليسار والاشتراكية والماركسية ، والذى بلغ فى بعض المواضع حدود الخلط والتشويه ، فلنا معه وقفة أخرى ، أتمنى أن لا تطول ، كما أتمنى أن لا يضيق بحفاها القراء .

ومصطلحات اليسار والاشتراكية والماركسية ، تتدرج فى ترتيبها هذا من العام إلى الخاص . ويحسن أن نتفق مبدئياً على أن العام يفرض على الخاص بعض صفاته ، بينما الخاص لا يترتب له مثل هذا الحق على العام . ويعنى هذا أنه لا يجوز لأحد أن يحمل اليسار أو الاشتراكية ما يتصوره أخطاء أو انحرافات أو دنايا فى الماركسية . كما أنه لا يحق لهذا الأحد أن يؤاخذ اليسار بما يتوهمه مأخذ على الاشتراكية .

فتقسيم القوى السياسية إلى يسار ويمين يمكن أن يقوم بغير الارتباط بقضايا العدل الاجتماعى التى هى الهدف الأساسى للفكر وللعمل الاشتراكى . ففى مرحلة التحرير ، وهى المرحلة التى عاشها كل شعوب المجموعتين العربيه والإسلامية ، بل ولا يزال بعض هذه الشعوب يعيشها ، حيث تطلق القضية الوطنية على السطح وتجب القضايا الاجتماعية ، يقوم التصنيف إلى يسار ويمين على أساس الموقف من المستعمر المحتل . فالقوى التى تقبل بوجود المحتل ، أو تتعاون معه ، أو تسكت عنه تدرج فى قائمة اليمين ، بينما القوى التى تناهضه وتناضل ضده تدرج فى قائمة اليسار . وهذا التصنيف قد يمتد العمل به إلى داخل كل قوة من هذه القوى ، حيث توصف بعض أجنحتها باليسارية بينما يوصف البعض الآخر بما هو عكس ذلك . وحتى فى مجالات الفكر والثقافة ، التى تبتعد بصورة أو بآخرى ، عن السياسة العملية ، ولا تشغل نفسها بطريقة مباشرة بمسألة العدل الاجتماعى ، فإن تيارات التجديد والتحديث

والاستنارة تحظى بالوصف اليسارى ، بينما تيارات التجميد وتقديس الموروث والخضوع للعادة الثقافية الرتيبة تحظى بالصفة اليمينية .

وعندما تتجاوز المجتمعات مرحلة التحرير ، فإن القضايا والمطالب الاجتماعية تعود وتطفو على السطح ويكون لها الأولوية . ولما كانت التطورات الاشتراكية تمثل الأدوات والوسائل والحلول الممكنة للمشكلات الاقتصادية - الاجتماعية في المجتمع المعاصر ، فإن قوى اليسار تحترم هذه الخبرات الاشتراكية المعاصرة ، وتستعين بها لتغيير المجتمع إلى ما هو الأفضل ، وتعتمدها سبيلاً إلى تحقيق مصلحة الجماعة (الأغلبية صاحبة الحق في مصطلحات السياسة المعاصرة) . أما قوى اليمين فإنها تقف عادة ضد التعديلات والتغييرات الاجتماعية ، ولذا فهي ترفض مسبقاً أغلب إن لم يكن كل المعطيات الاشتراكية وهذا الارتباط بين اليسار وبين الاشتراكية لا ينشأ عفواً ، كما أنه لا يترتب على اختيارات أو توافقات ذهنية مجردة ، ولكنه يمثل الناتج الموضوعي للتفاعل بين الدينامية التي يتصف بها اليسار وبين المستقبلية التي يتسم بها الجهد الاشتراكي .

والنظم والمدارس الاشتراكية يجمعها معاً شروط ثلاثة . وأول هذه الشروط يتمثل في الملكية العامة لوسائل الإنتاج . أما الشرط الثانى فهو اعتماد التنمية الشاملة وتخطيط الاقتصاد ووسائل لتطوير الاقتصاد الوطنى . أما ثالث هذه الشروط ، والذي يترتب تلقائياً على الشرطين الأولين ، فيتحقق بضمان التوزيع العادل لعائد العمل الاجتماعى . وهذا الشرط الأخير يمكن الوصول إليه فقط في حالة قيام الدولة بتولى المسئوليات المباشرة بشأن توفير وتقديم الخدمات الأساسية للمواطن ، وفي مقدمتها حق العمل ، والمسكن ، والمأكل ، والملبس ، والانتقال .

وطبقاً لدرجات التشدد أو المرونة تجاه الشروط الثلاثة السابقة تتحدد المواقف والخيارات الخاصة ، فتظهر في إطار الاشتراكية كتيار عام ، عدة روافد فرعية ، أى مذاهب . وقد يؤصل أى من هذه المذاهب اختياراته العملية باعتماد مجموعة من التصورات النظرية . بشأن عملية التطور التاريخى

ثم يشير سيادته إلى أنه يكفي في هذا الصدد ما جمعه عن أنواع النكال الذى صب على رؤوس المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

والمقتطفات السابقة التى أوردناها ، هى بعض ما أورده قلم الدكتور وصفى فى هذا الشأن . ونلمح فيها جميعاً ، ربطاً تحكيمياً بين اليسارية وبين الاشتراكية وهو أمر قد لا يطرد كما أوضحت من قبل ، ثم مطابقة بين الاشتراكية وبين الماركسية . أكثر من هذا ، فسيادته ، يقتطع من الخبرات الماركسية ، أيديولوجية بعينها ، هى الأيديولوجية السوفيتية ، ثم يسحب كل ما لحق بها من سلبات ، قد تكون مرهونة بالظروف والملابسات التاريخية التى صاحبت قيام النظام السوفيتى ، ويضعها قسراً على رؤوس الاشتراكيين واليساريين جميعاً . وأحسب أنه يصير من نافلة القول أن نعود فنؤكد أن وحدانية الحزب ، وأن تغييب الدين ، ليسا من القواعد المطلقة ، ولا حتى فى داخل الكتلة الشيوعية . وقد أعطيت نموذجاً للتعدد الحزبى فى ألمانيا الشرقية فى مقالى « بل المسلمون يسار ويمين » فى العدد الخامس عشر من مجلة المسلم المعاصر . ثم جاءت الأحداث الحية التى نعيشها ونقرؤها بالكاردينال « كارول فوجيتيلا » رأس الكنيسة البولندية فوضعت فى مركز الصدارة فى كنيسة القديس بيتر « بطرس » بالفاتيكان ، حيث أصبح البابا « يوحنا بول الثانى » الرأس الروحى للعالم الكاثوليكي . وكلها أمور تفرض علينا أن نتحرى الدقة فى تناولنا للقضايا والوضعيات المعاصرة ، التى جعلها الإعلام المعاصر ، معرفة مشتركة (مشاعية) بين المفكرين والكتاب وبين القراء العاديين ، حتى لا نبدو نحن الكتاب فى أعين هؤلاء القراء فى صورة متدنية لا تليق بكرامة الفكر ، ولا تتناسب مع مسئولية الكلمة .

ومع كامل الاحترام للأشخاص ، فقد بلغ الخلط أقصاه حين بحث الدكتور وصفى عن عقيدة عامة تقوم على أساسها النظم اليسارية أو الاشتراكية فإذا به يزعم ويقول :

« فالاشتراكي يؤمن بأن الاقتصاد هو الذى يحدد مسار التاريخ وأنه لابد من اتخاذ التدابير الاشتراكية لى يوافق هذا المسار » .

والمبتدئون في دراسة الفكر الاشتراكي ، يعرفون أن هذا الدور الحاسم أو الرئيسي للاقتصاد في التأثير على العملية التاريخية ، وإنما هو احتكار خاص للماركسية ، دون غيرها من المذاهب الاشتراكية . ونحن نجل الدكتور وصفي أن تكون هذه الحقيقة العلمية قد غابت عنه ، كما نجله أيضاً أن يكون قد عمد إلى استخدامها على هذه الصورة رغم علمه بعدم صحتها . ومناقشة هذه المقولة من ناحية الصحة والخطأ ليس يعنيننا . كما أن الدفاع عن المفاهيم الماركسية هو الآخر لا يعنيننا ، وبحسن تركه لأتباع وأنصار وخلصاء الماركسية فهم الأحق بذلك ، كما أنهم الأقدر على القيام به . غير أن قدراً من الإيضاح لهذه الفكرة عن دور الاقتصاد التي يطعن بها اليساريون والاشتراكيون قبل الماركسيين يصبح ضرورياً ، كما أن الحد الأدنى من الموضوعية يوجب علينا أن نوضح ولو بصورة عابرة هذه الصياغات التي يلتبس فهمها على الكثيرين . فهناك فرق كبير بين أن يكون الاقتصاد هو العامل الوحيد الحاكم للعملية التاريخية . وبين أن يكون العامل الرئيسي أو الحاسم . كما أن القول بكون الاقتصاد يحدد مسار التاريخ هو غير القول بأن الاقتصاد يصنع التاريخ .

ففي أدبيات الفكر الماركسي ، يقوم الناس بصنع تاريخهم ، أما الذي يحدد تطور التاريخ فهو الظروف المادية (اقتصادية واجتماعية) والقوانين الموضوعية للحياة الاجتماعية . وعن المادية التاريخية (أي علم تطور المجتمعات في المفهوم الماركسي) يقول أحد المراجع الكلاسيكية (بل المدرسية) في شأن فاعلية الجماهير والأفكار في صياغة العمل التاريخي : « أما المادية التاريخية فقد ربطت الاعتراف بالقوانين الموضوعية للعملية التاريخية دبالكتيكيا بفهم التاريخ كنتيجة لنشاط الجماهير ، وكشفت عن التأثير الواقعي للأفكار ولمبادرات الأفراد والجماهير على سير التاريخ » (١) .

فالمسألة إذن ليست بالإطلاق ، ولا بالبساطة ، اللذين يتيحان للبعض أن يستخدم بعض الأفكار والصياغات فيجردها من دقتها العملية ، ومن

(١) ف . كيليل ، م . كوفالزون ، المادية التاريخية ، ترجمة أحمد داود ، دار الجماهير

بدمشق ، (١٩٧٠) .

خصوصياتها ، ليدين بها كل الأفكار والفاعليات اليسارية والاشتراكية التي عرفها التاريخ المعاصر .

تبقى ملاحظة بشأن ما يبيده الدكتور وصفي من إدانة لكل من الاشتراكية والرأسمالية ورفض لكليهما . إن هذا الموقف يبدو واضحاً في الصياغات العامة أو الإنشائية . أما عند تناول القضايا التفصيلية ، فإن مواقف سيادته تكون متحاملة على الاشتراكية والفكر الاشتراكي ، بينما هي منحازة إلى الرأسمالية والفكر الرأسمالي . فالنظام اليساري الذي يقوم — في رأي سيادته — على أسس مخالفة لطبائع الأمور ، يؤخذ عليه كما يقول : « أنه يلغى نظام السوق والتعامل الطبيعي والأسس الطبيعية للحياة ليستبدل نظمه الاصطناعية المتحكمة بنظم الغرائز الإنسانية الصالحة » . وهي صياغة لست أحسب غلاة الرأسماليين أنصار الاقتصاد الطبيعي ، يمكن أن يقولوا أكثر منها للدفاع عن نظامهم ، أو للطعن في النظام الخصم . كما أن سيادته في موضع آخر من مقاله يزعم أنه : « من العسير مثلاً أن ننطلق من الإسلام في اعتماد وسيلة التأميم » . وهو بهذا القطع إنما يقدم الحصانة الأكيدة للاستغلال الرأسمالي ، كما أنه يحرم الفاعلية الاشتراكية من إحدى أدواتها الرئيسية المستخدمة في إقامة العدل الاجتماعي . وكان الأجدر بسيادته بدلاً من المصادرة المطلقة لفكرة التأميم ، خاصة وأنها لم تعد غريبة حتى في أعنى المجتمعات الرأسمالية ، كما أنها لم تكن غريبة في مجتمعات الإسلام الأولى ، ثم إنها قد أثبتت فعاليتها في إعادة الثروات القومية في بلاد المسلمين . (بترولية وغير بترولية) إلى أصحابها الشرعيين بعد أن كانت حكرًا للاستعمار الاقتصادي الغربي ... أقول كان الأجدر به أن يقدم الضوابط الإسلامية لاستخدام التأميم أداة لعلاج الظلم القائم في المجتمع دونما تفجير لينابيع للظلم جديدة . ولأنني أكتفى هنا بأن أضع أمام سيادته بعض ما كتبه المرحوم الأستاذ سيد قطب في هذا الصدد (١) ، حيث يقول :

« وفي يد الدولة أن تنزع من الملكيات ، وأن تأخذ من الثروات — بنسب

(١) ، سيد قطب ، معركة الإسلام والرأسمالية ، دار الشروق ، (١٩٧٤) ، ص ٤٣ ،

معينة - كل ما تجده ضرورياً لتعديل أوضاع المجتمع أو لمواجهة نفقات إضافية ضرورية لحماية المجتمع من الآفات ... » .

« بل في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعاً ، وتعيد توزيعها على أساس جديد ، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام . ونمت بالوسائل التي يبررها ، لأن دفع الضرر عن المجتمع كله ، أو اتقاء الأضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد ... » .

نظم وأيديولوجيات

في أحد أشهر كتب التنظيم السياسي والإداري للدولة في تراثنا الحصب ، استعرض أبو الحسن الماوردي مسألة الإمامة ، وبحث في سبل انعقادها ، وقدم مجموعة من الخيارات العملية التي يجب الوقوف عندها للتعليم والاعتبار والفهم .

وقد سجل الإمام الماوردي أن الإمامة تنعقد من وجهين ، أحدهما باختيار أهل العقد والحل ، وثانيهما بعهد الإمام من قبل .

وعدد من تنعقد بهم الإمامة من أهل الاختيار قد يكون كل أهل العقد والحل من كل بلد ، وهذا الأسلوب مدفوع بأن بيعة أبي بكر انعقدت بمن حضرها فقط ، وقد يكون خمسة قياساً على العدد الذي اجتمع على بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ثم تابعه بقية الناس عليها فيما بعد ، وقد يكون ثلاثة يتولاها أحدهم ويشهد بها الآخرون جرياً على المشابهة مع عقود النكاح التي تصح بولي وشاهدين ، وقد تنعقد بواحد فقط لأن العباس قال لعلي رضي الله عنهما : أمدد يدك أبياعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان .

أما انعقاد الإمامة بعهد من قبل فقد يكون العهد بها إلى واحد أو أكثر كما ذكر الماوردي ، فقد عهد بها أبو بكر إلى عمر ، بينما عهد بها عمر إلى

السته من أهل الشورى . كما يحق للخليفة أن يعهد بالإمامة إلى اثنين أو أكثر ويرتب الخلافة فيهم مثلما عهد سليمان بن عبد الملك بها إلى عمر بن عبد العزيز ثم إلى يزيد بن عبد الملك ، ومثلما رتبها الرشيد في ثلاثة من بنيهِ ، في الأمين ، ثم المأمون ، ثم الموثمن (١) .

فالاختيارات والبدائل التي يطرحها الماوردي ، كما يبدو في المستخلصات السابقة المأخوذة من أحد أبواب كتابه ، ما هي إلا انعكاسات مباشرة للخبرات التاريخية التي عاشها الماوردي أو تراكت لديه . وإذا كانت بحوث مسألة الإمامة ما هي إلا بلورة دستورية أو قانونية أو تنظيمية لتلك التراكمات التاريخية ، فإن قضايا الإمارة والوزارة والقضاء والحسبة والولايات العامة تجري عليها هي الأخرى ، ومن باب أولى ، فاعلية وتأثير الخبرة التاريخية .

ومنهج الماوردي في عرضه للأحكام السلطانية والولايات الدينية يمثل إحترام القدامى لتأثير وفاعلية الحركة التاريخية ، وقدرتهم على التمييز بين الثابت والمتغير في المعطيات الإسلامية ، نظرية كانت أو عملية ، كما يعبر عن الطاقة النفسية العظيمة التي تجعلهم يحرصون على الخضوع لمقتضيات الدرس العملي للقضايا السياسية والاجتماعية فيبتعدون عن الخلط بين ما هو فقه محض تفرزه الاجتهادات البشرية الإنسانية وما هو تشريع إلهي ملزم بنصه ملزم بدلالته . وهو إحترام تحمد الله أنه لا يزال مستمراً في كتابات كثيرين من المحدثين من أمثال المرحوم الأستاذ السهوري ، والشيخ محمد الحضري ، والدكتور عبد الحميد متولى ، وكثيرين غيرهم ممن تعرضوا لمسائل الولايات بصفة عامة ، ومسألة الخلافة على وجه الخصوص . وقد قدم الأستاذ فتحي عثمان عرضاً جيداً ، فيه الكثير من الإحاطة ، لاستمرار هذا الاحترام وذلك الفقه الصحيح للتراكمات التاريخية المتعلقة بالنظم السياسية والإدارية في مجتمعات المسلمين في عدد سابق من مجلة المسلم المعاصر . بل وأكد سيادته أن هذه النظم

(١) أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية . والولايات الدينية ، مصطفي الباق الحلبي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، (١٩٧٣) ، ص ٦ - ١٥ . (والمنقول هنا إعادة عرض وتلخيص لهذه الصفحات) .

إن هي إلا قطعة من التاريخ ، وقرر بشأن أمور الخلافة والحكم أن : « كل هذه أحداث تاريخية لا بد من تدبرها تماماً ، وقد تفهم بالقياس إلى ظروفها الخاصة المادية والاجتماعية . ولكن لا يمكن اعتبارها بحال سوابق ملزمة أو أحكاماً عامة مطردة (١) » .

وإن دل هذا كله على شيء فإنما يدل على أن الحكم في الإسلام ، تنظيم وإدارة ، مؤسسات وإجراءات ، ليس مفروضاً من السماء لا رأى للناس فيه كما يدل على أن أية خبرة سابقة في هذه المجالات ليس لها قداسة يترتب عليها إلزام قهري للمسلمين المعاصرين بمحاكاتها . وكل ذلك ينتهي بنا إلى القبول بما قاله الدكتور العميد طه حسين تعليقاً على ما يندفع عنه البعض بشأن نظام الحكم في الصدر الأول من حياة المسلمين : « والذين يظنون أن نظام الحكم في هذا الصدر من حياة المسلمين كان إلهياً يندعون عن رأيهم هذا بما يجدون في أحاديث الخلفاء وخطبهم ، وفي أحاديث الناس عنهم وإليهم من ذكر الله وأمره وسلطانه وطاعته ، يحسبون أن هذا كله يدل على أن نظام الحكم منزل من السماء ، مع أنه لا يدل في حقيقة الأمر إلا على شيء يسير خطير في وقت واحد ، وهو أن الخلافة عهد بين المسلمين وخلفائهم ، وأن الله أمر المسلمين بأن يوفوا بعهد الله إذا عاهدوا ... (٢) » .

والإسلام لا يترك مساحة متسعة يمارس فيها المسلمون اجتهادهم لتشكيل الحياة في مجتمعاتهم فيما يتعلق بالشئون الدستورية فقط ، ولكن في الشئون الاقتصادية ، وفي التكييفات الاجتماعية أيضاً . وهذه الجوانب الثلاثة (الدستورية والاقتصادية ، والاجتماعية) تتكامل مع بعضها وتتداخل فتكون البنية الكلية للنظام الاجتماعي بمعناه العام .

(١) فتحي عثمان ، تراث الفكر الإسلامي في النظم السياسية والإدارية قطعة من التاريخ ، مجلة المسلم المعاصر ، العددان الأول والثاني ، (أبريل ١٩٧٥) ، ص ٨١ .
(٢) طه حسين (الدكتور) ، الفتنة الكبرى ، الجزء الأول - عثمان ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة ، (١٩٧٠) ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

وفي كل من هذه المجالات الثلاثة فإن المبادئ العامة ، أو الكليات ، أو المؤشرات ، أو المناثر الفكرية التي تجاء بها الإسلام (أي التسميات تشاء) قائمة. وراسخة ، ولكن التفاصيل ، والدقائق ، والحشوات ، والإجراءات ، كلها أمور متروكة للمسلمين يبدعون فيها ، ويكيفونها وفقاً لمقتضيات الزمان والمكان .

ففي التنظيم الدستوري للدولة يجب الإمامة ، عقلاً وشرعاً ، كما أن الشورى هي الأخرى مأمور بها ، ويأثم من يخرج عليها . ولكن الشرع ترك للمسلمين تحديد مواصفات الإمام ، وكيفية اختياره ، وأساليب المشاورة ، وكيفية بلورة التشكيلات الدستورية ومؤسسات الحكم ، وتكييف العلاقات بين هذه المؤسسات وبين بعضها البعض ، وكذلك العلاقات بينها وبين جماهير المسلمين . وفي الجانب الاقتصادي ، فإن الضوابط الكلية لكيفية مداولة الأموال في المجتمع المسلم قائمة ، ولكن الأمور المتعلقة بالأشكال المتنوعة للملكية ، وكيفية إدارة هذه الملكية ، والأساليب العملية لتوزيع عائد هذه الملكية ، الفردي منها والجماعي ، متروكة كلها للمسلمين يقيسونها بمقاييس الزمان والمكان ، وهي تتبدل من وقت إلى وقت ، وتتغير من موقع إلى موقع . أما في مجال العلاقات والمواضعات الاجتماعية ، ففيها عدا الأخلاق منها ، وفيها عدا الجرائم الاجتماعية التي أقيمت بشأنها الحدود ، فإن التشكيل التفصيلي المعقد لهذه العادات والسلوكيات الاجتماعية يخضع أول ما يخضع لمقتضيات الواقع بما يفرزه من عرف واستحسان واختيارات تراثية وتأثيرات معاصرة ، طالما أن أيّاً من ذلك كله لا يتجاوز ما تقتضيه الكليات الإسلامية الثابتة نصاً ودلالة . ولعل هذا هو بعض ما دعا الأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى ، وهو واحد من أساتذة القانون العام الذين دأبوا في إخلاص على دراسة مبادئ نظام الحكم في الإسلام ، إلى الانتهاء إلى نتيجة مشابهة حيث يرى أن : « المعاملات ، عدا الأحوال الشخصية والموارث ، وهي تشمل ما تطلق عليها القوانين المدنية والتجارية والدستورية والإدارية ، وغيرها من مختلف فروع القانون ، وهذه هي التي تهتمنا هنا ، وهي التي نعنيها في الواقع بالكلام في

هذه النبذة ، قد اقتصر القرآن بصددتها على بيان القواعد العامة ولم يعرض لتفصيلات وجزئيات اللهم إلا في النادر (كأحكام المواريث والأحكام المتعلقة بالأسرة كمسائل الزواج والطلاق) وذلك لأن الأحكام الشرعية الخاصة بتلك الجزئيات تتغير بتغير ظروف البيئة والمكان ، وتتطور بتطور ظروف الزمان (١) . ولست أحسب أحداً يجرؤ على الزعم بوجود مطابقة بين نظام الحكم في الصدر الأول ، ونظام الحكم الملكي العضوض لدى الأمويين ، أو نظام الحكم المتأثر بالموالي لدى العباسيين ، أو تطابق أى من هذه الصور الثلاثة مع الصور التى قام عليها نظام بل نظم حكم الأمراء المماليك ، أو التى كان عليها نظام حكم الخلفاء الأتراك من بنى عثمان ، فأوجه الخلاف ، بل والتناقض ، بين هذه الصور المتعددة كبيرة للغاية ، ليس فى الشكل فقط ، بل وفى الجوهر أيضاً . وليس يحل هذه التناقضات ، أو ييطل تلك الاختلافات ، أن يكون رأس الدولة فى هذه المراحل جميعاً قد أسمى نفسه أو أسماه الناس « الخليفة » . فالتقويم الحقيقى للنظام - أى نظام - لا يبنى على ألقاب الحاكم أو الإمام ولكنه يبنى على فعل الإمام وصفاته ، كما يبنى على فلسفات ومواصفات مؤسسات الحكم والإدارة التى تشاركه مسئولية القيام على شئون المجتمع .

والنتيجة الموضوعية التى تنتهى إليها جميع التحليلات السابقة ، هى
أن المبادئ الكلية لنظام الحكم فى الإسلام ثابتة ومستمرة ، لا يحولها تنقل
الزمان ولا تغير المكان . أما نظام الحكم ذاته فهو متغير متحول يدور مع
الزمان ويتكيف مع المكان . فالتعدد التاريخى لنظم الحكم التى عرفتها مجتمعات
الإسلام أمر لا شك فيه ، واستمرار هذا التعدد هو فى حكم المؤكدات التى
لا بد وأن تحدث فى الحاضر وفى المستقبل أيضاً . ومن هنا فإن الذين يحاكون
الآخرين بادعاء دخولهم إلى النظام الإسلامى أو بخروجهم منه ، عليهم أن
يوضحوا لنا ما يعنون بالنظام الإسلامى . فإن كانوا يطلبون منا أن نعيش معهم

(١٤) عبد الحميد متولى (الدكتور) ، الإسلام ومبادئ نظام الحكم فى الماركسية
والديمقراطيات الغربية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، (١٩٧٤) ، ص ١٦ .

إحدى صور الماضي التاريخي ، فلا لقاء بيننا وبينهم ، فهم شغوفون بعيش الماضي ، بينما نحن نعيش الحاضر ، ونصر على عيشه ، بل ونرتب لعيش المستقبل أيضاً . أما إذا كانوا يعنون بالنظام الإسلامي تصوراً للمجتمع المسلم المعاصر مؤسساً على مبادئ الإسلام الكلية ومؤشراته ، فنحن متفقون وهم ، وإن كنا نرجو منهم أن يتجنبوا التعميم والتعظيم وأن يوصفوا لنا الوسائل والكيفيات التي تقوم عليها الأبنية الدستورية والاقتصادية والاجتماعية لذلك المجتمع . ولعل في ذلك التعقيب الرد الكافي على ما يبدو في كتابات الدكتور وصفي حول التعارض بين الممارسة السياسية في صورها المعاصرة وبين مقتضيات الانتساب إلى الإسلام ، مما قد يصحح الوهم أو الزعم بأن في الانتماءات السياسية وفقاً لمقاييس العصر وأساليبه خروجاً على النظام الإسلامي .

وكنت في مقال المعنون : « بل المسلمون يسار ويمين » قد أكدت ضرورة أن نقيم تفرقة بين الدين وبين الأيديولوجية . ولكن الأستاذ الدكتور وصفي يرى غير ذلك ويصر عليه . وهو إصرار يبدو غريباً وغير مفهوم ، بل ومتناقضاً ، خاصة وأن سيادته قد اتهمني بأن بعض أقواله لا تنم عن تقدير حتمي للإسلام ، وهو حكم أعتب عليه فيه ، خاصة وأن ما اجتزأه من مقالاتي وبني عليه حكمه هذا كان مبتوراً عن السياق ومشوهاً . وإذا كان هذا الاتهام يعني بمنهموم المخالفة أن سيادته هو الذي يحمل التقدير الحقيقي للإسلام ، فإن دعوته إلى النزول بالدين إلى مستوى الأيديولوجية إنما يعبر عن خلل في منهجية البحث يجب الوقوف عنده .

وهذا التناقض الذي وقع فيه الدكتور وصفي إنما ينشأ عن التعميم الذي لجأ إليه في تعريفه للأيديولوجية . فهو يعرفها بأنها العقيدة الشعبية والإيمان العام بتماليم المؤسس للنظام ، متى أخذت طريق التنفيذ العملي بالتخطيط والتنفيذ . وهذا التعريف شديد العمومية ، ويغفل أو يتغافل عن المرور الحياتي (الاجتماعي) الذي تلعبه الأيديولوجية في زمن ما ، وفي مجتمع ما ، ولمصلحة قوة اجتماعية ما وهذا الدور الحياتي العملي للأيديولوجية ، هو الذي ينفي عنها صفات

الاستمرار والثبات ، مما يقيم تفرقة واضحة بينها وبين الدين . وقد عاب الدكتور وصفى التعريف الذى قدمته للأيديولوجية بدعوى أننى أنظر للموضوع نظرة اجتماعية بحتة . ولما كان ذلك التعريف مأخوذاً عن الموسوعة الدولية (والناشر كورليير بنيويورك) ، وهى صادرة فى أمريكا الشمالية ، وتعبّر عن فهم غربي رأسمالى للمصطلح ، فقد رأيت أن أقدم مجموعة أخرى من التعريفات للمصطلح منسوبة إلى يساريين واشتراكيين وماركسيين متنوع مواقفهم وتصدر تصوراتهم عن آفاق سياسية شتى (١) . فرايمون أرون يعرف الأيديولوجية بأنها : « منظومة لتفسير العالم الاجتماعى تنطوى على نظام من القيم المقبولة ، وتقترح إصلاحات ينبغى إنجازها وانقلاباً يخشاه الناس أو يأملونه » . ويعرفها آدم شاف بأنها : « منظومة من الآراء تحدد ، من جراء اعتمادها على منظومة من القيم المقبولة ، اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء أهداف التطور المتوخاة وأهداف المجتمع والفئات الاجتماعية أو الفرد » . بينما يعرفها لويس ألتوسر بأنها : « منظومات من التصورات - صور وأساطير وأفكار أو مفاهيم - لها منطقتها ودقتها الخاصان بها ، وتحتج بوجود دور تاريخى فى قلب مجتمع معين » . وهذه التعريفات ، مع التعريف السابق المنقول عن الموسوعة الدولية ، كلها تؤكد أن الأيديولوجية ليست مفاهيم مجردة وليست منبثة الصلة بالواقع الاجتماعى ، كما أنها ليست تحمل صفات الديمومة ، التى حاول الدكتور وصفى أن يخلعها عليها ، حتى يتمكن من وصف الدين بأنه أيديولوجية أو مذهبية ..

والدين (أو العقيدة الدينية) هو أقرب إلى الفلسفة بمعناها العام منه إلى الأيديولوجيا . فكلاهما - أى الدين والفلسفة - إنما يعبر عن نظام ذكرى ، قد يكون نشأ فى بيئة اجتماعية معينة ، ولكنه يتضمن عناصر تجريدية متنوعة ، تعلق على مشكلات ذلك الواقع ، وإن كان فى ذات الوقت تطرح تصورات كلية لكيفية التفاعل العام مع ذلك الواقع . وقد يكون فى الدين أو فى الفلسفة

(١) فرناند دومون ، الأيديولوجيات ، ترجمة وجيه أسعد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى بسوريا ، (١٩٧٧) ، ص - ٥ . (والتعريفات الثلاث المذكورة منقولة عن هذا الكتاب)

عناصر أيديولوجية ، بل وقد يكون لكل منهما وظيفة أيديولوجية (أى دوراً اجتماعياً ما) ، ولكن حين يقال أن الدين أو الفلسفة أيديولوجية فإن هذا التفسير يكون أوسع مما يجب للأيديولوجية . وكما أن الفلسفة الواحدة يمكن أن تفرز أيديولوجيات متنوعة وهو الأمر الذى نشهده فى مجتمعا المعاصر ، فكذلك الدين يمكن أن يقوم على أساس منه تصورات متنوعة ، أى أيديولوجيات . إن امتزاج الزمان والمكان مع المبادئ العامة أو الكليات أو التجريدات فى الدين (أو الفلسفة) إنما يخلق نظاماً محدداً للعمل الاجتماعى يصلح لواقع بعينه ولفترة تاريخية بذاتها . وهذا النظام المحدد هو ما نطلق عليه الأيديولوجية . وحتى فى الظروف الواحدة أو المتشابهة ، ومن البدايات المشتركة ، فإن عملية المزج بين المعطيات النظرية وبين المعطيات الواقعية ، تتشكل وفقاً لمناهج وأهداف ومصالح القائمين بعملية المزج هذه . ولعل فى هذا التفسير الصحيح لكون البعض يستطيع أن يؤسس على المعطيات الدينية بناءً فكرياً وتنظيماً يكون بمثابة قوة مستقبلية تخدم التطوير الحضارى ، والتحديث الاجتماعى وترعى المصالح المرسلة للعباد ، بينما يستخدم البعض الآخر نفس المعطيات ليقم سدوداً من التخلف يقاوم بها حركة التقدم ويعوق بها فاعلية التغيير الاجتماعى .

تبقى ملاحظة أخيرة أجدرنى مضطراً للوقوف السريع أمامها ، رغم ما يراها فى ردى هذا من الطول ، ولكننى سأوجزها قدر ما أستطيع . فقد كتب الأستاذ الدكتور وصفى فيما كتب ، أن الأيديولوجية الإسلامية جوهرها التوحيد ، وبالتالي فإن أحداث التاريخ — كما قال — أحداث إلهية ، وأنه من الإشراك أن ننسب شيئاً منها لغير الله . وصياغة الدكتور وصفى للقضية بهذا الشكل صحيحة ، ولكن تكييفها الفلسفى وبعدها الحياتى كلاهما غير صحيح . فالعقيدة فى الإسلام صلبها التوحيد ، ولكن الشريعة صلبها العدل . وأية أيديولوجية (مذهبية) إسلامية صحيحة يجب أن تقوم عليهما كليهما . فالمسلمون لا يتميزون عن غيرهم بأنهم أهل التوحيد ، ولكنهم يتميزون بأنهم أهل التوحيد والعدل . والتوحيد هو الاستمرارية العقيدية فى الدين الإسلامى ، أما

العدل فيقوم على المزج بين المبادئ الكلية في الإسلام وبين الواقع الاجتماعي والخبرات المعاصرة، وهذا المزج هو الذي يشكل من التصورات العامة في الإسلام تصورات أيديولوجية تصلح لواقع معين ولزمان محدد. أما عن كون أحداث التاريخ أحداثاً إلهية، فهي قولة حق آسف إذ أقول أنها لا تؤدي إلى الحق. ويكفي أن أشير هنا إلى أن المسلمين جميعاً يؤمنون بقدرة الله وإحاطته وعلمه. ولكنهم مدعوون أيضاً للأخذ بالأسباب وللإيمان بأن لله سنناً في خلقه، كونية أو اجتماعية، وأن الأحداث تجري وفقاً لهذه السنن. وهذه السنن عندما نكتشفها نحن البشر المعاصرين ونتعرف عليها نسميها القوانين. وبالتالي فإن أحداث التاريخ تجري وفقاً لهذه القوانين... ولا يفوتني في هذه السطور الأخيرة أن أذكر الأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى بأن هذه القضية التي يثيرها (في نهاية القرن الرابع عشر الهجري) قد تم حسمها في القرن الثالث الهجري، ومنذ كان السلف الأول من علماء الكلام المسلمين يناقشونها تحت عنوان: «خلق الأفعال»... ثم أتساءل مخلصاً: هل يصح، عقلاً أو شرعاً، أن نظل ندور في طاحونة الجدال الكلامي وننصرف عن واقعنا؟.. أرجو أن تكون الإجابة بالنفي، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا. بأنفسهم



رسائل

أفتوال الصحابة

بين مصادر التشريع الإسلامي

رسالة ماجستير مقدمة من / محمد عبد الحميد
جعفر الى قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار
العلوم ، أشرف عليها الشيخ عبد العظيم
معاني ، نوقشت في (مارس ١٩٧٨) واجيزت
بتقدير جيد جدا .

هناك اتفاق يبلغ حد الإجماع على الدور الذي قدمه صحابة رسول الله
لدين الله ، وجاء ذلك كأثر من آثار مدرسة النبوة ، فقد هداهم الله للإسلام ،
ومن عليهم بصحبة رسول الله محمد ، فعاشوا نزول الوحي بما يستلزمه من
تشرب لما جاء به وعمل فعلى بمقتضاه ، وعاشوا السنة المطهرة فعلا من
رسول الله وقولا وتوجيها أو تقريراً لما كان يحدث من أصحابه ، وبلغ بهم
الحرص حدا جعلهم يسألون ويستفسرون عما يدور بأذهانهم من أمور دينهم
ودنياهم وكأننا بهم كانوا يدركون حقيقة الدور الذي ينتظرهم بعد أن لحق
رسول الله بالرفيق الأعلى ، فأدوه حقاً وصدقاً ، وقدموا لدين الله ما ينتظر
من قوم تربوا في ظروف الوحي ونعموا بالتلقى والاستيضاح من رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ولكل هذه الملابسات عرف تاريخ التشريع منهم
الفقهاء والمفسرين والمحدثين ، وامتألت كتب هذه العلوم بأرائهم اجتهادا
ونقلا . غير أن الأمر يبدو غريبا حين نرى تقديم مذاهب الأئمة المجتهدين على
مذاهبهم وأقوالهم بل إن قوما أنكروا الأخذ بأقوال الصحابة وقدموا عليها
قول من هم أقل علما ودراية . وغداً أمر حجية أقوال الصحابة يحتاج إلى بيان ،
يزيل اللبس ويضع الأمور مواضعها الحقيقية في أناة البحث وتجرد المخلصين .

كل هذه الدوافع كانت وراء هذا البحث الذى تقدمه :

(أقوال الصحابة بين مصادر التشريع الإسلامي) كما ذكر صاحب البحث في مقدمته .
وقد عالج الباحث المسائل الضرورية للموضوع في مقدمة ، وتمهيد ،
وأربعة أبواب ، وخاتمة .

أفصحت المقدمة عن ملايسات دراسة هذا الموضوع اختيارا ومنهجيا
وتطبيقا .

وأما التمهيد فقد قسمه الباحث إلى ثلاثة فصول ، تضمن الأول منها تعريف
الصحابي على ألسنة رجال اللغة ، ومدلول هذا اللفظ في العرف العام ، ثم في
مفهوم علماء الحديث وعلماء الأصول . وخرج من هذا التطواف بنتيجة
مؤداها أن هذه الميادين التي ذكرها تسوى بين الصحابي وبين صاحب من
الناس الأمر الذي جعله يرفض هذا الرأي ويرى أن الصحابي لفظ لا بد من أن
يفهم في ضوء الدور الذي أداه الصحابة وأثبتته التاريخ لهم ، وإن هذه التسمية
لم تعرفها لغة العرب قبل عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حظى بها قوم
بعد من صحبه ووقفوا بجانبه .

وجاء الفصل الثاني من التمهيد ليعالج موضوع عدالة الصحابي ، وكيف
أنها ثابتة بالنص القاطع ، الأمر الذي يجعل من المرفوض ذمهم ورفض عدالتهم
أو تجرييحهم ، واقتضاه هذا أن يتعرض لمن يقصر العدالة على الصحابي الذي
لازم الرسول صلى الله عليه وسلم مدة طويلة ، فرفضه وقدم الدليل على خطأ
فيه ، كما عرج على من نحأحو « وأصيل والنظام » في ذم الصحابة واتهامهم
بسبب الحروب التي دارت بينهم مقدما الدليل على خطأ هذا المنحى ، ومثبتا
بالتحريض الدقيق كيف أن هذه الحروب لا تصلح أساسا لاتهام الصحابة
وتجرييح تاريخهم ، وفي ختام هذا الفصل ارتضى لنفسه ولمن يوافقه من
المسلمين أن تقف من هذه الخلافات موقفا تتمثل فيه قول الله تعالى : « تلك أمة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

أما ثالث فصول التمهيد فقد كان المدخل لموضوع الدراسة بعامة

إذ تعرض فيه للمراد بقول الصحابي ورأى من خلال استقراءه - أن قول
الصحابي ينحصر فيما يلي :

١ - قول هو من السنة حقيقة : كأن يكون موضوع الفتوى أمر
لا يجرى فيه القياس أو يجيء فيه القياس ، ولكن الحكم جاء على خلافه .

٢ - قول لا دليل فيه على السنة أو الرأي ، ولم يقع عليه الخلاف من
الصحابة ، وهذا يخلب فيه أن يحمل على السنة لأن السماع أصل في حق الصحابي .

٣ - قول هو من اجتهاد الصحابي حقيقة ، وذلك إذا كان على صورة
القياس ، أو أعلن الصحابي أنه من رأيه ، أو وقع بين الصحابة خلاف عليه .

٤ - قول يحمل شبهة الإجماع ، وهو القول الثاني أو الثالث إذا نقل
إلينا بعد أن اشتهر بين الصحابة ، ولم ينقل معه موافقة أو خلاف أو سكوت
من جانب الصحابة .

وبهذا التصنيف لما يمكن أن يجرى فيه قول الصحابي من مواقف يأخذ
التمهيد تمامه وكماله .

أما الباب الأول فقد كان غوصا في أعماق الموقف الحنفي من حجية أقوال
الصحابة . وقسمه الباحث إلى تمهيد وثلاثة فصول ، لمس في التمهيد مسألتين
هما : شرط بعض الحنفية أن يكون الصحابي فقيها ، والباحث لا يرى هذا
الشرط بل يرى إلغاؤه حتى لا نضيق جزءا ما من السنة والمسألة الأخرى هي :
إطلاق الحنفية التقليد والحجية على الأخذ بأقوالهم ، وانتهى الباحث إلى أنهم
أرادوا بالتقليد الأخذ بدليل الحكم .

وفي الفصل الأول من هذا الباب تناول البحث رأى الحنفية في قول
الصحابي إذا كان توقيفا .

وقد تأكد إجماع الحنفية على حجيته ، لأن الاحتجاج به إنما هو احتجاج
بالسنة . وتعرض - بمقتضى البحث - للمسائل المذكورة في هذا الصدد
سردا وحكاية لما اعترض به عليها ثم رجود الحنفية على هذه الاعتراضات .

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن رأى الصحابي في فقه الحنفية ، وهذا
الرأى بجىء :

١ - رأى اشهر بين الصحابة : وهذا إما أن يكون متفقاً عليه أو
مسكوتاً عنه ، أو مختلفاً فيه من جانب الصحابة ، وهو أصل في اجتهاد
الحنفية ، غير أن الحجة فيه للإجماع ، وإن خالف بعضهم (كالكرخى) في
في إجماع السكوت ، لأن السكوت عنده دليل الإنكار .

٢ - رأى لم يشتهر بين الصحابة : وهو الرأى المقصود بالحجة في
فقههم ، وفي هذا الصدد ذكر الباحث اختلاف الحنفية في حجية هذا الرأى
بين رافضين وهم قلة ، ومؤيدين وهم كثرة وفي ختام هذا الفصل يميل
الباحث إلى رأى المؤيدين الذين يقدمون رأى الصحابي على القياس .

وفي الفصل الثالث من هذا الباب . يبين الباحث موقف أبى حنيفة من
هذا الأمر ، وبعد أن يقدم الأدلة التي ترد رأى من يقول إن أبى حنيفة لا يعتبر
مذاهب الصحابة ، يقول : « وانتهيت إلى أن أبى حنيفة يقدم الكتاب والسنة ،
ثم يأخذ بأقوال الصحابة ، مقدماً آراء الخلفاء الأربعة ، ثم أقضية جميع
الصحابة ، فإن اختلفوا اختار من بين أقوالهم ، ولا يخرج عليها باجتهاد من
عنده ، فإن لم يكن شيء من ذلك لجأ إلى القياس ضرورة .

وفي الباب الثاني كانت ائرحلة داخل فكر المالكية أصولاً وفروعاً وذلك
لمعرفة موقف المالكية من القضية المطروحة وهي حجية قول الصحابي بين
مصادر التشريع . وجاء هذا الباب في فصلين اثنين :

الأول : اضطلع بمهمة تحقيق آراء المالكية ومناقشتها واستقراء الفروع
في المصادر الفقهية المالكية ، ثم تكون نتيجة هذا التحقيق والاستقراء :
« وجدت الاتفاق على أخذ مالك بمذاهب الصحابة ، وأنه يضع قول
الصحابي بين أصوله ، وأن القول عند مالك لم يقسم كما قسم عند الحنفية ،
وإن مالكا يأخذ بقول كل صحابي دون أن يعين بعضهم ليأخذ منه ومالك : وإن أخذ

بمسائل التابعين على سبيل الاستثناس فإنه يدرك الفرق بينهم وبين الصحابة .

أما الفصل الثاني فقد حدد فيه الباحث مكانة قول الصحابي بين أصول مالك وفيه يتعرض لموقف مالك حين يوفق بين السنة وقول الصحابي إذا تعارضا ، كما يبين علاقة قول الصحابي بالإجماع وهو ما عرف عند مالك بعمل أهل المدينة .

ومن خلال هذا الفصل يتبين أن مالكا يقدم قول الصحابي على القياس الأمر الذي يزداد وضوحا من خلال ما ذكر الباحث من مسائل الموطأ العديدة .

وفي الباب الثالث يحىء دور مذهب الشافعي ورأيه في حجية قول الصحابي وقد جاء هذا الباب في أربعة فصول :

في الفصل الأول كان الحديث عن المواقف المختلفة للفقهاء ، إذ وجد من الفقهاء الشافعيين من يرفض الأخذ بقول الصحابي كما وجد بينهم من يؤيد هذا الأخذ ، ومع كل دليله الذي ينسبه إلى الشافعي نفسه الأمر الذي يوقع في الحيرة والارتباك ، وقد ذكر الباحث بصدد هذه الحيرة أنه تصفح « الأم » للشافعي فلم يجد إلا رأيا واحدا ينسب إلى الشافعي سعة آراء على الأقل بين القديم والجديد في مذهبه .

وفي الفصل الثاني : كان ما اقتضاه الموقف في الفصل الأول إذ أصبح من الضروري معرفة الحقيقة في رأى الشافعي من خلال نصوصه ، وهذا ما فعله الباحث إذ عكف على دراسة الشافعي نفسه من خلال فكره وآرائه في مذهبية القديم والجديد ، ووجد أن قول الصحابي أصل مستقل عنده في تشريع الأحكام .

وفي الفصل الثالث : قسم الباحث الرأى بين الصحابة من حيث الشهرة وعدمها ورأى أنها تكون :

١ - رأى لم ينتشر بين الصحابة ، أو لم يعلم هل انتشر أم لا .

٢ - رأى انتشر وحظي بموافقة الصحابة .

٣ - رأى انتشر وقوبل بالسكوت .

٤ - رأى انتشر وخولف من بعضهم .

ثم يقول الباحث : « أما إذا لم ينتشر الرأي وانتشر وخولف ، فقد اجتمعت نصوص الشافعي ومساائله على اعتبار كل واحد منهما حجة شرعية تتقدم على القياس ، أما الرأي إذا اشتهر ووافق عليه جميع الصحابة فإن الحجة فيه للإجماع ، غير أن هذا الرأي يندر وجوده في نظر الشافعي ... أما إذا نقل الرأي مسكوتا عنه فإن الشافعي يعتبر الحجة فيه لذاته ، وينفي الإجماع السكوتي بقوله « لا ينسب إلى ساكت قول » .

وفي الفصل الرابع : يقف الباحث مع « الأم » للشافعي وقفة خاصة يستجلى بها الأمر ويزيده تأكيدا ، ومن خلال هذه الوقفة يذكر الباحث مؤكدا سبب اعتبار الشافعي لقول الصحابي وكيف أنه نبه المجتهدين إلى آثار الصحابة ، وحذرهم من الخروج على آرائهم للاجتهاد فإن هذا بدعة ، وقد ذكر الباحث من المسائل ما يؤكد أن وقفته الخاصة مع الأم لم تضع هباء ولم تكن عبئا على البحث ولا على القارئ . وبذا ينتهي الباب الثالث لنصل إلى

الباب الرابع الذي خصصه الباحث لرأي الإمام أحمد في حجية قول الصحابي ، وقسمه إلى فصلين : عرض في أولهما أدلة من يقول بأخذ الإمام أحمد بقول الصحابي ، ثم أورد أدلة من يقول بغير هذا ، لينتهي من كل هذا إلى صحة القول بأن « أحمد » يأخذ بقول الصحابي ويعتبر حجيته ، ويضيف الباحث أن موقف الإمام أحمد من هذه القضية يتماثل تماما مع موقف الإمام مالك . وفي كل هذا تتفرع نقاط البحث ومعها أدلتها التي استقاها الباحث من الكتب الأصلية للمذهب الحنبلي .

وفي آخر فصول الرسالة حقق وأكد ما انتهى إليه في الفصل السابق وذلك

من خلال وقفة خاصة مع نصوص وفروع المذهب الحنبلي كما فعل مع الشافعي من قبل .

وجاء دور خاتمة البحث لنجد فيها تلخيصا للبحث ، وفيها أيضا نتائج توصل إليها الباحث من خلال تجواله في تراثنا الفقهي ، وتتضافر في كل جزئيات النتائج لتصنع النتيجة الكبرى وهي اعتبار قول الصحابي حجة تلي حجة السنة وتتقدم على القياس ، وقبل أن يترك القارئ خاتمة هذا البحث يلتقي بتوصيات تتوجه جميعها إلى ضرورة دراسة مذاهب الصحابة من الوجهة الفقهية في هذا شغل بالجناد من الأمور وإثراء للمفاهيم الفقهية الإسلامية .

وبعد : فتلك كانت وقفة عجيلى مع البحث «أقوال الصحابة بين مصادر التشريع الإسلامى» ولا نملك إلا أن نقرر جدوى هذه المحاولة ، وجدية صاحبها ، وحسن إخلاصه فيها ، ومن حقه علينا أن نقرر أنه وضع أمام القارئ المسلم كثيرا من ذخائر التراث الفقهي المستقى من الكتاب والسنة ، ولكننا لا نغض الطرف مجاملة على إرهاب يصيب القارئ المسلم في هذه الرسالة وذلك من جراء تشتيت للمسائل بين كل مذهب على حدة ، وفي هذا يصعب الفهم والمقارنة بين أدلة المذاهب ، وكم كان بوجدنا أن تكون المسائل مطروحة مسألة مسألة وبعدها تعرض الآراء الفقهية في جميع المذاهب المؤيد منها والمعارض ، ثم تكون النتيجة التي يستنبطها الباحث ويقدم الدليل على صحتها ، كيلا نغرق في بحر الأدلة المتعارضة والتنقلات الكثيرة بين صفحات الرسالة بحثا عن رأى كل مذهب ، ولست أدري ما الذى دعا الباحث أيضا إلى أن يفرد بعض الكتب لبعض الأئمة بوقفات خاصة استغرقت فصولا مستقلة ، ولئن كان السبب ضرورة تحقيق النصوص وتدقيق النقول التي نقلت عن هذا الإمام أو ذاك من أتباعه ومجتهدى مذهبه ، فإن هذا حدث مع جميع الأئمة وفي جميع المذاهب فلماذا أفردت وقفات لبعض دون الآخر هذا وشيء قد يجول بالخاطر أيضا داخل تقسيم الرسالة ويتصل بمسألة التمهيد الذى جاء في ثلاثة فصول فصار أشبه بباب منه بتمهيد تعودته البحوث العلمية ، وفي الختام : تلك أحاسيس قارئ من حقه أن يعبر عنها فإن كانت صوابا فمن حقه أن يعاد النظر فيها ، وإن كانت الأخرى فليتبسع صدر الباحث لمشاعر صادقة من قارئ مسلم . هذا وبالله التوفيق .



بحث واداء مكتبية

دليل القارئ إلى المجلات

اجتماع

د . محمد البهي

آثار العلمانية سياسيا في المجتمع الاسلامي .

الإسلام بمبادئه لا يترك مكاناً للعلمانية على أرض مجتمعه . والمقال يعرض لإمكانات تطبيق العلمانية في المجتمعات الإسلامية ويبحث أثرها على فرض تطبيقها في المجتمع الإسلامي .

منار الإسلام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٩٥ - ١٠٠

اجتماع

عبد الكريم اليافي

منزلة ابن خلدون في تاريخ علم السكان .

المقال عرض لفكر ابن خلدون من زاوية علم السكان الحديث ينتهي فيه إلى أن ابن خلدون يعتبر واضع الحجر الأساسي للديمقراطية الاقتصادية .

العربي عدد يناير سنة ١٩٧٦ ص ٩٤ - ٩٩

اجتماع

د . زيدان عبد الباقي

الرسول محمد والتعاون والاسلام .

العبادة والخلق والمعاملة ونظم الحياة والروابط العائلية والمدنية والإنسانية أمور يطلق عليها علم الاجتماع اسم العمليات الاجتماعية .. والمقال يتناول دور الرسول صلى الله عليه وسلم في تجديد خصائص العمليات الاجتماعية التي تدفع إلى الرقي والتقدم وذلك من خلال نماذج لصور التعاون الإسلامي باعتباره من أولى العمليات الاجتماعية التي يحرص علم الاجتماع على التعمق في دراستها .

مجلة الأزهر - إبريل سنة ١٩٧٦ - ص ٤٤٥ - ٤٥١

د . أحمد شلبي

المرأة في الإسلام

اجتماع

أسرة

لقد نقل الإسلام المرأة من حال إلى حال : فقد كانت شيئاً فأصبحت
شخصية إنسانية لها من الحقوق والواجبات ما يؤكد صفتها الإنسانية .
والمقال يعرض موضوع المرأة في الإسلام من خلال موقع المرأة في الحياة
في عالم ما قبل الإسلام وفي الدنيا من بعده .

منار الإسلام مايو سنة ١٩٧٦ ص ٨٤ - ٨٩

بدر متولى عبد الباسط

اصول دين التشريع بين العقل والتعبد .

أسس العقيدة الإسلامية مبنية على العقل في حملتها وتفصيلها . والإيمان
الحق يتمشى مع قوانين العقول السليمة .
والمقال يكشف دور النظر العقلي في دعوة القرآن الكريم .

الوعى الإسلامى فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٢٦ - ٢٩

د . عبد العظيم محمود

اصول دين الاسلام وتنظيم المجتمع .

ليس هناك مقياس عقلى ثابت فى المسائل العقلية والنظرية التشريعية يفصل
بين الحق والباطل وحتى لا تغرق سفينة الإنسانية نزلت الأديان هداية للعقل .
والمقال عرض لخصائص الوحي وطبيعة التشريع الإلهي ودعوة إلى تطبيق
الشريعة الإسلامية بدلا من القوانين الغربية .

مجلة الأزهر أبريل سنة ١٩٧٦ ص ٤٠٤ - ٤١٣

د . محمد البهى
اقتصاد
المجتمع الإسلامى مجتمع الملاك والعمال معا .

الملكية فى الإسلام وظيفة إجتماعية ... والعمل حق وواجب والمقال دراسة فى المفهوم الإسلامى للملكية والعمل ودور كل من الملاك والعمال فى المجتمع الإسلامى الذى ليس هو مجتمع أصحاب رؤوس الأموال وليس مملكة البرولوتاريا أيضا .

الاعتصام يوليه سنة ١٩٧٦ ص ١٤ - ١٧

د . ابراهيم فؤاد أحمد
اقتصاد
الآثار الاقتصادية للزكاة

تعتمد فلسفة الزكاة فى إعادة توزيع الدخل القومى على ظاهرة اقتصادية هامة هى تناقص الميل الحدى للاستهلاك وتزايد الميل الحدى للإدخار عند الأغنياء والعكس تزايد الميل الحدى للاستهلاك وتناقص الميل الحدى للإدخار عند الفقراء . والمقال دراسة تحليلية مقارنة للآثار الاقتصادية للزكاة فى محاولة لتنظير إقتصاد إسلامى .

الوعى الإسلامى فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٣٠ - ٣٩

د . أحمد جامع
اقتصاد
استخدام الفائض البترولى من أجل التنمية الاقتصادية
التربوية أحلام أكثر من حقائق

المقال دراسة تحاول أن تجيب على تساؤل حيوى هو هل يستخدم الفائض البترولى العربى فى تحقيق تنمية عربية شاملة . ويرى الكاتب أنه على الرغم من أن الإجابة على هذا التساؤل الحيوى بالإيجاب هى أمل الجماهير العربية . إلا أن هذا الأمل ليس إلا أضغاث أحلام ، لأن الذى حدث هو اتجاه لفائض البترولى العربى نحو التوظيف والاستثمار فى الدول الرأسمالية المتقدمة . ويمضى المقال فى تحليل الأسباب والنتائج .

الثقافة العربية تشرين الثانى سنة ١٩٧٦ ص ١٧ - ٣٦

اقتصاد
المستشار احمد محمود خليل
موقف الاسلام من التسعير الجبرى

عنوان المقال من الموضوعات المطروحة فى ساحة الفكر الإسلامى وقد صدرت حولها كتب ودراسات . والمقال يعرض موضوع التسعير وأراء الفقهاء فيه كما يدرس فلسفته وأحكامه .

منبر الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٥٥

اقتصاد
د . محمد رضا محرم
خبرات العصر وتحقيق العدل الإسلامى

هذا العصر الذى نعيش فيه له ملامح أساسية وتحديد هذه الملامح ضرورى حتى يمكن تجديد دور الفكر الإسلامى فى تحقيق العدل الاجتماعى . والمقال دراسة فى مفهوم العدل الإسلامى ووسائل تحقيقه .

الطليعة عدد يناير سنة ١٩٧٦ ص ٨٥ - ٩١

اقتصاد
د . محمد على الفراء
ازمة الاسكان

العالم يحتاج فى الخمس والعشرين سنة القادمة مقدار ما بناء من مساكن منذ بدء الخليفة حتى الآن والمقال تحليل لمشكلة الإسكان من زاوية أبعادها الاجتماعية الأمر الذى يكشف مدى خطورة المشكلة . وينتهى المقال بعرض وجهة نظر فى حل المشكلة .

العربى عدد يناير سنة ١٩٧٦ ص ١٦ - ٢٣

الدكتور فتحى الحسينى
اقتصاد التكامل الاقتصادى العربى
بين الماضى والحاضر والمستقبل

حاجة عالمنا العربى إلى التكامل الاقتصادى ملحّة ولكن السعى إليه أقل مما ينبغى . ورغم تعثر الخطى فى تحقيقه فإن احتمالات نجاحه لا تزال قائمة . والمقال عرض واف للموضوع فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

الثقافة العربية مارس سنة ١٩٧٦ ص ٣٨ - ٤١

د . محمد شوقى الفنجري
اقتصاد المفاهيم الاقتصادية
كيف نبنيها على ضوء ما جاء فى الكتاب والسنة والدراسات العلمية ؟

كثّر فى السنوات الأخيرة الحديث والكتابة حول موقف الإسلام من النظم الاقتصادية المعاصرة ؟

والمقال عرض لعدد من المفاهيم الاقتصادية يرى الكاتب ضرورة الإلمام بها حتى تكون واضحة فى أذهان جمهور المسلمين بما يمكنهم من الوقوف على حقيقة الاقتصاد الإسلامى ومتابعة بحوثه .

العربى يونيو سنة ١٩٧٦ ص ٢٠ - ٢٤

د . محمد شوقى الفنجري
اقتصاد الوصف العام للنظرية الاقتصادية الإسلامية

المقال دراسة هامة فى طبيعة النظام الاقتصادى الإسلامى . وفيه محاولة للفصل التام بين البحث الإسلامى فى هذا الاتجاه وبين علم الاقتصاد الحديث . والصيغة التى ينتهى إليها المؤلف فى نظرتة للنظام الإسلامى فى جهد المسلم فى الكسب والإنفاق هى أنها نظام حر بلا فردية ، نظام منتظم بلا جماعية .

منار الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٥٨ - ٦٦

اقتصاد د . محمد على الغرا
التكامل الاقتصادي العربي أمل راود الشعوب العربية

إن التكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية كان ولا يزال هدف العرب المشترك منذ إنشاء الجامعة العربية عام ١٩٤٥ .

والمقال دراسة لهذا الأمل الذي راود الشعوب العربية ويؤكد إمكانية تحول الأمل إلى واقع حيث أن مقومات التكامل الاقتصادي بين العالم العربي متوافرة . وربما بشكل لا يوجد في أى مكان من العالم .

العربي يونيو سنة ١٩٧٦ ص ٣١ - ٣٧

اقتصاد اللواء الركن محمود شيت خطاب
المصارف الإسلامية

المقال يعرض لفكرة المصرف الإسلامى وتجربته . ويتحدث عن حكم الله فى الربا . ويتساءل الكاتب لماذا لم يقل مجمع البحوث الإسلامية رأيه فى ربا المصارف حتى الآن .

الاعتصام ديسمبر سنة ١٩٧٦ ص ١٦

اقتصاد محمد عبد الشفيع
قضية النظام الاقتصادي العالمى الجديد .
حاضر ومستقبل العالم العربى فى اطار العلاقات الاقتصادية الدولية

المقال يقدم من وجهة نظر خاصة دراسة لمشكلة التخلف فى العالم الثالث وتفاعلاتها فى النظام الدولى مع العلاقات السياسية الدولية ثم يطرح قضية إقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ويعرض العوامل التى شكلت أرضية الدعوة إلى إقامة هذا النظام .

مجلة الشورى يونيو سنة ١٩٧٦ ص ٢٣ - ٤٩

د . عبد الرحمن بيسار
أقليات . أبناء الأقليات الإسلامية المقترية
وواجب العالم الإسلامي نحوهم

المقال يعرض لموضوع هام حيث ينبغي على العالم الإسلامي حراسة أبناء المسلمين في المهجر وصيانتهم من الأفكار الدخيلة والعقائد الفاسدة والثقافات الضارة . والكاتب يحلل التحديات العقائدية والفكرية والاجتماعية التي يتعرض لها هؤلاء لينتهي في دراسته التي استغرقت أكثر من عدد في المحلة إلى عدة اقتراحات عملية محددة لواجبات العالم الإسلامي نحو هذه الأقليات على المدى القصير والبعيد .

منار الإسلام مارس سنة ١٩٧٦ ص ٧٠

د . فاخر عاقل
بحث علمي العلم ضرورة قومية ملحة

والمقال يهدف إلى تعريف البحث العلمي والتعريف بأصوله وطرائقه ومجالاته باعتباره ضرورة ملحة تفرضها ظروف التقدم والتنمية .

العربي مارس سنة ١٩٧٦ ص ٤٢ - ٤٥

د . محمود اسماعيل
تاريخ بواكير التنوير في الفكر الديني .

من منظور خاص يعرض الكاتب لحركة الاستنارة في العالم العربي الإسلامي الحديث وخاصة في مصر ، وذلك منذ بدأت إرهاباتها على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . كما يعرض من وجهة نظره للمشكلات التي واجهت حركة التنوير في الفكر الديني وما أسفرت عنه الحركة من نتائج .

مجلة الشورى يونيو سنة ١٩٧٦ ص ٧٥ - ٨٧

د . حسين مؤنس
فكرة التقدم

تاريخ

يرى البعض أن حركة التاريخ دائرية . بينما يرى آخرون أن الإنسانية تسير دائماً إلى الأمام . وبين هذا الاتجاه وذاك مئات الدراسات وآلاف الأفكار والمراجعات . والمقال عرض لجهود في فهم حركة التاريخ منذ فجر الحضارة حتى القرن العشرين .

العربي، عدد مارس سنة ١٩٧٦ ص ٣١ - ٣٥

احمد بهاء الدين
اعادة كتابة التاريخ الاسلامي

تاريخ

عنوان المقال شعار رفعه الكثيرون من أجل رؤية حقيقية ومعاصرة لأحداث التاريخ الإسلامي ، وخاصة أن الأجانب غالباً ما يركزون على الجوانب السلبية حتى تنفلت منا النظرة الصحيحة إلى الأمور .

والكتاب عرض لأهمية هذه المشكلة وبيان - من وجهة نظر الكاتب - للمواصفات التي ينبغي توافرها لمن يقوم بهذه المهمة الصعبة .

العربي مارس سنة ١٩٧٦ ص ٦ - ١٢

اجر اول - ترجمة عبد الكريم الامين .
صيانة المخطوطات .

تراث
مخطوطات

إن أهمية المخطوطات لا تحتاج إلى تأكيد . لهذا فإن صيانتها تعد أمراً ضرورياً . والمقال يعرض للخطوات التي ينبغي أن نخطوها من أجل حماية المخطوطات .

الثقافة العراقية تشرين الثاني سنة ١٩٧٦ ص ٧٨ - ٨٢

تربية
د . محمد احمد العزب
تأملات في تكوين الشخصية الإسلامية

المقال دراسة في عناصر ومقومات الشخصية الإسلامية في مواجهة
تيارات العصر . ويرى الكاتب أن من أهم مكونات هذه الشخصية هي
الاعتدال الكامل على ضياغة مقولاتها في قانون قابل للتطبيق ، وهو أمر نحن
الآن في مسيس الحاجة إليه .

منار الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٧٣ - ٧٩

تربية
د . جليل كمال الدين .
العلم في الوطن العربي سنة ٢٠٠٠ مؤلفات وقراءات .

التعليم في عالمنا العربي قضية لها أهميتها وخطرها . والنظر في مستقبل
التعليم هو نظر في مستقبل العالم العربي كله .

والمقال عرض من وجهة نظر خاصة لمستقبل التعليم في عالمنا العربي
سنة ٢٠٠٠

مجلة الثقافة العربية مارس سنة ١٩٧٦ ص ١٦ - ٢٦

تربية
د . مازن المبارك .
التربية الإسلامية في مناهج التعليم

الغرض من التربية الإسلامية هو إنشاء جيل مؤمن عارف بواجباته نحوربه
وأمتة ونحو نفسه .

والمقال دعوة لأن نهض المدارس في العالم الإسلامي بمسئولياتها فيكون
للدين ودرسه منزلة مرموقة في مناهج التعليم .

منار الإسلام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٨٩ - ٩١

د . محمد عبده اسماعيل

مشكلة التعليم في مصر

تربية

التعليم ليس عملية بسيطة ولكنه مجموعة من العمليات الحسية والعقلية التي تهدف إلى توصيل العلم من العالم إلى غيره . والتعليم اليوم في العالم الإسلامي يعاني مشكلة بل مشكلات ويعيش أزمة بل أزمات . والمقال عرض لمشكلة التعليم في رقعة مكانية محددة هي جمهورية مصر العربية .

الدعوة عدد يوليو سنة ١٩٧٦ ص ١٩

د . محمد البهي

تغير اجتماعي أين المسلمون اليوم

سؤال يطرحه كاتب المقال يرى من ورائه إلى بيان ما يعانيه المسلمون اليوم من ضعف ، ويحلل أسبابه ودواعيه ، ويرز دور أعداء الإسلام فيما عليه الأمة الإسلامية من تمزق وتحلف .

والمقال يعرض لمشاكل المسلمين ، ويرى أنها تعود إلى عدم الأخذ بالإسلام .

منار الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ١٢ - ١٧

الأستاذ أبو الحسن الندوي .

تغير اجتماعي خليج بين الإسلام والمسلمين

المقال دراسة تكشف البون الشاسع بين واقع المسلمين وبين ما يدعو إليه إسلامهم .. ويرى الكاتب بحق أن بيننا وبين الدين الإسلامي الحقيقي شيئاً من الفجوة أو الجفوة .. وأن علينا أن نملأ هذه الفجوة أو نزيل هذه الجفوة ... حتى لا يبتعد واقع المسلمين عن حقيقة الإسلام .

مجلة الأزهر - عدد أبريل سنة ١٩٧٦ - ص ٤٥٢ - ٤٦١

د . وهبه الزحيلي تغير اجتماعي التحرك الاسلامي في واقع العصر

يلاحظ الكثيرون - بحق - أن الإسلام في واد والحياة الإسلامية في واد آخر .
وتزايد هذه الإزدواجية مع الزمن .

والمقال يبحث هذه الظاهرة وأسبابها ، ثم يعرض الوسائل التي يتحول بها المجتمع نحو الصبغة الإسلامية . وفي النهاية يطالب الأجهزة الحاكمة في البلاد الإسلامية أن تضع خطة لتربية الشعب التربية الإسلامية التي تصلح لنمو روحه ودفعه نحو التمسك بعقيدته وتعاليم دينه .

منار الإسلام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٧١ - ٧٧

د . يوسف نجم الدين . حاضرة تأملات حول الاسلام وتكوين حضارته

المقال هو البحث الذي ألقاه الدكتور يوسف نجم الدين أمير الجامعة السبعية في الهند في المؤتمر الدولي للأبحاث الإسلامية الذي بدأ أعماله في لندن في ٥ أبريل سنة ١٩٧٦

منبر الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٨٢

د . على جريشة دستور القرآن فوق الدستور

يحتل الدستور في القوانين الوضعية أهمية خاصة باعتباره ذروة البناء القانوني . والمقال يؤكد أن القرآن الكريم هو الدستور الأعلى في المجتمع الإسلامي وهو فوق كل دستور وضعي ، ويفسر من خلال هذا المفهوم النصوص الدستورية التي استحدثت في عدد من الدساتير العربية وخاصة مصر والتي تجعل الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع .

الدعوة يوليو سنة ١٩٧٦ ص ٤ - ٥

دستور
محمد عبد الله عنان
حكومة الجماعة الاندلسية
مثل فريد في أنظمة الحكم الاسلامي

الممارسات والواقع لهما دور كبير في توجيه الفكر . والمقال يعرض
للسلطة الجماعية التي عرفتها قرطبة في عهد ملوك الطوائف من وجهة النظر
التاريخية وأيضاً باعتبارها تجربة في نظم الحكم عرفها مجتمع إسلامي .

العربي عدد مارس سنة ١٩٧٦ ص ١٤٤ - ١٤٨

دستور
د . ابراهيم هلال
الاسلام واصول الحكم عند الامام علي

قوام الحكم في الإسلام هو أن تحظى الرعاية بعدل الحاكم . وللإمام
على كرم الله وجهه . وجهة نظر علمية وعملية في فهم حقوق الراعي والرعية
ومسؤوليات الحاكم والمحكومين . والمقال عرض لوجهة النظر هذه .

منبر الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٦٤

دستور
محمد عطية خميس
الاسلام لا يعرف السلطان المطلق .

لقد سبقت الشريعة الإسلامية الدساتير الوضعية في تقييد سلطة الحكام
وتقرير سلطان الأمة عليهم . والمقال عرض لاتجاه الشريعة الإسلامية في هذا
البعد من واقع التجربة الأولى في صدر الإسلام ، ومن خلال أقوال الفقهاء
المسلمين .

الاعتصام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٦ - ١٠

دستور
محمد عطية خميس
صوت الاسلام في المجتمع الجديد

الإسلام كما يقول الكاتب - دين وسياسة. والفصل بين الدين والدولة
نقض لعري الإسلام . ولا حلول لمشاكل الأمة إلا بمبادئ الإسلام .
والمقال دعوة لقيام حزب سياسي إسلامي .

الاعتصام ديسمبر سنة ١٩٧٦ ص ٥ - ٩

دعوة
د . محمد سعيد رمضان البوطي .
انظار العالم تتجه للإسلام .

لم يتهياً الفكر الإنساني في عصر ما لاعتناق الإسلام .. واليقين به ..
عقيدة ومنهجاً .. كما تهيأ لذلك في هذا العصر وفي هذه السنوات الأخيرة .
بالذات .. والمقال يحدد دور المسلمين في هذه المرحلة .. ويدعوهم إلى المبادرة .
والتقدم بعرض حقيقة الإسلام ..

مجلة منار الإسلام - عدد فبراير سنة ١٩٧٦ - ص ٢٠ - ٢٦

طب
خمر
د . محمود ناظم
المناقيع والأنبذة بين الاسلام والطب .

المقال دراسة علمية للمناقيع والأنبذة يبدأ بتعريفها اللغوي، ثم يمضي في
تحليلها من الناحية العلمية فيعرض لمكوناتها ثم يتحدث طويلاً عن تعاريفها
الفقهية وموقف الإسلام منها .

مجلة الإيمان والعلم مارس سنة ١٩٧٦ ص ٧٢ - ٨١

علم نفس د . سيد خير الله
علم النفس في القرآن

المقال عرض لأهم الاتجاهات النفسية من منظور قرآني بما يؤكد أن
أهداف العلم تلتقي وأهداف الدين .

وينتهي المقال إلى أن القرآن الكريم يقود البشرية إلى ما هو أقوم في
النفس وفروعها وفي الحياة ودروبها .

منار الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٩٠ - ٩٦

فلسفة * د . مصطفى عمران
* امام المتكلمين

في هذا المقال حديث عن فخر الدين الرازي ، وعرض لما قدمه من
تجديدات خصبة وثرية في معالجته لقضايا العقيدة والفلسفة ، وما بذله من
جهد في دعم مذهب أهل السنة والرد على أهل الزيغ والإلحاد ، سواء أكان
ذلك في ميدان المناظرة والجدل .. أم في مجال التأليف والكتابة ...

مجلة الأزهر - أبريل سنة ١٩٧٦ - ص ٤٦٢ - ٤٦٨

فلسفة د . محمد شوقي الفنجري
أيدولوجية التشريع الإسلامي .

الإسلام لا يقتصر على كونه عقيدة دينية وإنما هو أيضاً شريعة ونظام
سياسي وإداري واجتماعي واقتصادي للمجتمع ومن ثم يتعين أن نعرف
أيدولوجية الإسلام كشريعة ونظام .

والمقال عرض لمفهوم هذه الأيدولوجية وتحديد مقوماتها .

العربي يناير سنة ١٩٧٦ ص ٧٢ - ٧٣

حجة الإسلام الغزالي يحتل مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي ، وقد كان مفكراً موسوعياً . والمقال حديث عن فلسفة الغزالي الخلقية من خلال مؤلفه الكبير إحياء علوم الدين . ويكاد المؤلف -بطريقته في عرض أفكار الغزالي وفلسفته- أن يسلكه في زمرة من يقيمون الأخلاق على أساس وضعي .

العربي يونيو سنة ١٩٧٦ ص ١٠٢ - ١٠٧

د . فاسيري ميساننا
ترجمة على الصادق حسنين
ثلاثة أساليب لفهم تاريخ المعمار الإسلامي .

المقال محاولة خصبة لفتح عدد من الأبواب يمكن الدخول منها إلى عالم المعمار الإسلامي حتى يمكن تحديد معالم فن العمارة الإسلامي في مراحلها التاريخية المختلفة . وفي المقال عرض لأهم مدارس المعمار الإسلامية مع الإهتمام بإبراز خصائص كل مدرسة .

الثقافة العربية عدد مارس سنة ١٩٧٦ ص ٦٤ - ٧٣

المستشار عبد الساتر آدم
قانون مدني حقوق الجار في القانون الوضعي والشرعية الإسلامية .

كثير من فقه الشريعة في المعاملات في حاجة إلى تأصيل وحاجته إلى الدراسة المقارنة أوضح من أي بيان . والمقال دراسة تعرض أحكام ملكية الطبقات في العقار الواحد في كل من الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

منبر الإسلام مايو سنة ١٩٧٦ ص ٦٦

د . محمد عبد المنعم خميس
قانون مدنى السلم واحكامه .

السلم هو بيع شىء موصوف بيعاً مؤجلاً فى ذمة المسلم إليه بغير خبسه .
والمقال دراسة تعرض لتحديد مفهوم هذا البيع وشروط صحته وأحكامه
الفقهية .

منبر الإسلام عدد مايو سنة ١٩٧٦ ص ٥٤

الأستاذ عبد الوهاب الأثرى
قانون مقارن أصالة الفقه الإسلامى .

المقال يعرض لأصالة الفقه الإسلامى وتفوقه على الفكر القانونى الوضعى
حتى فى أحدث تطوراته . ويقرر أنه من الخطأ محاولة إصطناع التقريب بين
الفقه الإسلامى والفقه الأجنبى المشتق من القانون الرومانى ، لاختلاف
طبيعة وخصائص كل منهما .

منار الإسلام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٩٢ - ٩٤

الشيخ طه الولى
لغة ترجمة ترجمة معانى القرآن الى اللغات الأوربية الحديثة

ترجمة معانى القرآن الكريم أصبحت هدفاً لمجادلات جديده قام بها الأصناف
والخصوم فى الشرق والغرب .

والمقال دراسة تاريخية تعرض لبعض التريجات لمعانى القرآن الكريم
وللأشخاص الذين قاموا بها .

منار الإسلام فبراير سنة ١٩٧٦ ص ٧٨ - ٨٦

مؤتمرات د . توفيق الشناي ، د . مصطفى مؤمن
مهرجانات ومؤتمرات العالم الاسلامي بلندن

في أول أبريل سنة ١٩٧٦ عقدت سلسلة من المؤتمرات حول العالم الاسلامي استهدفت تقديم الاسلام كحضارة وتكبادي وحيية تعيش في نفوس المسلمين .

والفقال تعريف بمن اشتركوا في المؤتمر وتقرير عن أهم الموضوعات التي عرضت فيه انتهى بتقرير أن المؤتمر كان فرصة لعرض الفكر الاسلامي على الجماعات الإسلامية في بريطانيا والتعرف عليها أيضا رغم بعض السلبات والملاحظات حول المؤتمر .

الدعوة يوليو سنة ١٩٧٦ ص ٣٠

مؤتمرات د . سامي عبد العزيز السيد
ماوجه الغرابة في اقامة هذه المؤتمرات

هاجمت الطليعة في مقال نشره الدكتور محمد أحمد خلف الله مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا والذي عقد بمدينة « توليدو » في الولايات المتحدة الأمريكية وكان عنوان المقال « مؤتمرات على الطريقة الأمريكية » . وقد أثار هذا المقال عددا من التعليقات من بينها هذا التعليق وفي نفس العدد مجموعة أخرى من التعليقات :

الطليعة مارس سنة ١٩٧٦ ص ١١٤ - ١١٧

مؤتمرات المؤتمر الاسلامي
لمحامي باكستان

عقد هذا المؤتمر في المنصورة المقر الرئيسي للجامعة الإسلامية بـلاهور في باكستان ، واستمر اليوم الأول والثاني من شهر مايو سنة ١٩٧٦ و المحلة تقدم تقريراً مفصلاً عن هذا المؤتمر ،

المجتمع عدد ٣٠٥ - ١٥ يونيو سنة ١٩٧٦ ص ٢٦

د . محمد محمد أبو شهبة .
مؤتمرات حول المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى .

المقال تأكيد على أهمية هذا المؤتمر وإشادة بما ساهم من روح الالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وهو اتجاه يمثل خطوة جديدة وجدية نحو الالتزام بالشرعية الإسلامية فى كل شئوننا .

والمقال يشير بعد ذلك إلى بعض الأبحاث وينهى بعدد من الملاحظات التى يقدمها الكاتب على هذا المؤتمر .

مجلة رابطة العالم الإسلامى أبريل سنة ١٩٧٦ ص ٢٤ - ٢٦

توصيات المؤتمر العالمى الأول
مؤتمرات للاقتصاد الإسلامى

نشرت مجلة المجتمع الأسبوعية توصيات ذلك المؤتمر التى تناولت موضوعات بالغة الأهمية مثل البنوك الإسلامية والتنمية الاقتصادية فى إطار إسلامى ودور الدولة الإسلامية فى الاقتصاد وعدد آخر من الموضوعات .

المجتمع العدد ٢٩٣ - ٣٠ مارس سنة ١٩٧٦ ص ١٦

وثائق

من النظام الأساسي

للمصرف الإسلامي الدولي

شركة مساهمة قابضة - لوكسمبورج

رقم ٤٠٣ / ٧٨ تسجيل الشركة

في ١٢ / ١٠ / ١٩٧٨

المادة الاولى

تألفت شركة مساهمة قابضة باسم : المصرف الإسلامي الدولي
Islamic Banking System International Holding S.A. (Luxembourg).

مقر هذه الشركة مدينة لوكسمبورج .

ومدتها ثلاثون سنة ، ويجوز مد المدة على التوالي ، كما يجوز حلها قبل
انتهاء المدة بقرار من المساهمين .

ويجوز للشركة أن تتحمل التزامات لمدة أطول من مدتها .

المادة الثانية

ينحصر غرض الشركة في المساهمة بأية صورة كانت في مشروعات أخرى
من أي نوع داخل لوكسمبورج أو خارجها ، والحصول بطريق الشراء
أو الاكتتاب أو بأية طريقة أخرى وكذلك نقل الملكية بالبيع أو المبادلة أو
بأي طريقة أخرى ، للأسهم والشهادات المؤقتة والأوراق المالية المثلة لقيم
منقولة وحقوق والتزامات وأية أوراق مالية من أي نوع آخر ، وملكية
ورقابة وإدارة وتصريف وزيادة قيمة محفظتها المالية .

ويجوز لها المساهمة في إنشاء وتطوير وتغيير ورقابة أى نوع من الشركات والمشروعات والبنوك . ويجوز لها أن تمنح الشركات التابعة لها أو التي يهتمها أمرها كل أنواع المساعدات والقروض والدفعات والضمانات والمشورات المهنية والفنية .

والمقصود بالشركات التابعة الشركات الوليدة والشركات التي تملك الشركة القابضة مساهمة هامة فيها .

ويجوز لها اتخاذ كافة الإجراءات لحماية حقوقها ، والقيام بكافة العمليات المرتبطة بأغراضها أو التي تفيد بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة خصوصا بالاقراض بضمان أو بدون ضمان وبكل وسيلة سواء بطرح سندات أو بأية طريقة أخرى .

وعلى وجه الخصوص فإن الشركة تهدف إلى المساهمة في البنوك الإسلامية التي تعمل على أساس نظام مصرفي خال من طريقة الفوائد ، وإلى تأسيس وتطوير وتغيير ورقابة وتنسيق مثل هذه البنوك الإسلامية .

وكل ما سبق لا يجوز أن يتعدى إطار الحدود التي رسمها قانون ١٩٢٩/٧/٣١ للشركات القابضة .

المادة الثانية عشرة

تطبق الشريعة الإسلامية حيثما لا يوجد نص يخالف في هذا النظام أو في القوانين واللوائح النافذة في لوكسمبورج ، خاصة قانون ١٩١٥/٨/١٠ وتعد الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

المصرف الاسلامى الدولى

شركة مساهمة قابضة

رأس المال ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٠ دولار أمريكى

يعلن عن طرح الشريحة الأولى من زيادة رأس المال للاكتتاب وفقا
لقرار الجمعية العمومية بتاريخ ١٩٧٩/٢/٥ .

• قيمة السهم الواحد ١٠٠ دولار أمريكى ، المدفوع منه عند الاكتتاب
٢٠ دولارا ، بالإضافة الى ٥ دولارات مصاريف اصدار ، ٥ دولارات
علاوة اصدار فيكون مجموع المدفوع عن كل سهم ٣٠ دولارا .

ترسل المبالغ بشيك أو حوالة مصرفية بعنوان :

Islamic Banking System. 31 Place De Paris LuxemBourg .

Tel 484011, Telex 1898 Isbank Lu,

أو لمراكز الاستعلام والاكتتاب التالية :

أمريكا : الوقف الاسلامى لأمريكا الشمالية :

North American Islamic Trust 7216 S. Madison Ave Suite S .
Indianapolis , Indiana 46227 . U. S. A.

مصر • شركة أرينكو - المستثمرون العرب •

٢١ شارع عماد الدين - القاهرة ت ٩١٠٤٧٤

• بنك الاستثمار العربى •

• بنك الاعتماد والتجارة الدولى بالزمالك •

السودان : • مجموعة شركات جحا : ص ب ٦١٧٤ الخرطوم ت ٣٣٦٦٨

• بنك فيصل الاسلامى السودانى •

• بنك الخرطوم •

السعودية • مؤسسة السلام - عمارة الشريتلى - دور ثالث -

ص ب ٧٢٠ جده ت ٣١٨٧٦ ، ٢٨٥١٩ -

الكويت • دار البحوث العلمية ص ب ٢٨٥٧ الكويت ت ٤٣١٩٨٢

• بيت التمويل الكويتى •

الإمارات العربية المتحدة

- بنك القاهرة
- بنك الاعتماد والتجارة الدولي
- بنك دبي الإسلامي
- البنك العربي المحدود
- قطر ● بنك قطر الوطني ● البنك العربي المحدود

الأسباب الخمسة

لاستثمار أموالك في أسهم المصرف الإسلامي الدولي :

- ابتغاء الكسب الحلال البعيد عن الربا والأسهام في دعم البدائل الشرعية في المجال الاقتصادي
- الاستفادة من جو الأمان والاستقرار المصرفي والاقتصادي والسياسي
- الإعفاء التام من ضرائب الدخل الأصلية والإضافية والتكميلية والضرائب على الكوبونات والضرائب البلدية ، كما ان توزيعات الأرباح على غير المقيمين معفاة أيضا من الضرائب
- السرية التامة المكفولة قانونا وفعلا لجميع المعاملات
- حرية وسهولة حركة رؤس الأموال دون أية قيود الى أى مكان في العالم



الشركة المصرية للطباعة والنشر
رقم الايداع ١٩٧٩/٦٠٣٩

Vol 5 No. 17 ALMOHARRAM — SAFAR — RABI AWWAL 1399

JANUARY — FEBRUARY — MARCH 1979

al-Muslim al-muwaṣṣir

The Contemporary Muslim